حتشبسوت بدرجة الصفر

الطبعة الأولى



الناشر

مؤسسة حورس الدولية

١٤٤ شارع طيبة - سبورتنج - إسكندرية

تليفون ٥٩٧٢١٧١ فاكس: ٤٩٢١٢٨٤

رقم الإيداع: ٩٩/١٠٣٣٢

الترقيم الدولى: 1 - 23 - 5902 - 779

لوحة الغلاف اهداء من الفنان العالمى فاروق حسنى

مهدى بندق

حتشبسوت بدرجة الصفر

مسرحية شعرية

صدر للشاعر

- سفينة نوح الضائعة ــ مسرحية ــ المجلس الأعلى للفنون والآداب ١٩٦٤
- الحلم الطروادي ــ مسرحية ــ دار لوران ١٩٦٦
- الدين والفن ــ نقد ــ دار النهضة العربية ١٩٦٨
- الملك لير ــ مسرحية ــ دار الوادي ١٩٧٨
- ريم على الدم ــ مسرحية ــ دار الوادي ١٩٨٠
- السلطانة هند ــ مسرحية ــ اتحاد الكتاب ١٩٨٥
- غيط العنب ــ مسرحية ــ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥
- ليلة زفاف إلكترا ــ مسرحية ــ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧
- امتحان بن حنبل ــ شعر ــ المركز القومي للفنون ١٩٨٧
- غيلان الدمشقي ــ مسرحية ــ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠ *
- حصان على صهوة رجل ــ شعر ــ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤
- يا أورفيوس ــ شعر ــ المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦
- مقتل هيباشا الجميلة ــ مسرحية ــ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٦
- هل أنت الملك تيتي ــ مسرحية ــ دار الصديقان ١٩٩٨
- آخر أيام أخناتون ــ مسرحية ــ مؤسسة حورس الدولية ١٩٩٨
- المسرح وتحولات العقل العربي ــ نقد ــ المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨
- حتشبسوت بدرجة الصفر ــ مسرحية ــ مؤسسة حورس الدولية ١٩٩٩

---

* جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٣

الإهداء

إلى حفيدتي : ندى

ملاكِ الشفاء

وتراتيلِ الشعر والبعث

إشارة

للمرة الثالثة قدمت وزارة الثقافة المصرية
للمؤلف منحة تفرغ لمدة عام
لإنتاج هذه المسرحية
فإليها الشكر مجدداً

الشخصيات حسب الظهور

١ــ شبانة	:	والد العروس الراحلة " سعت "
٢ــ المهندس عاتى	:	مدير الإدارة الهندسية – ٣٠ سنة
٣ــ فاو	:	والدته
٤ــ زواوى	:	شاب من أهل القرية
٥ــ فاروس	:	زوج سعت - نقاش – ٢٥ سنة
٦ــ الكا	:	تظهر في هيئة حتشبسوت وهى في العشرين
حتشبسوت	:	ملكة مصر - ٥٠ سنة
سننموت	:	كبير الوزراء – ٦٠ سنة
تحوتمس	:	ابن أخ الملكة – ٢٨ سنة
سرسور	:	تاجر من بلاد بونت " الصومال "
شندى	:	ملاحظ العمال بالدير البحري
بسى	:	مدير الأمن
حتب	:	ضابط شرطة
مجدو	:	قائد الجيش
حورحت	:	كبير كهنة آمون
ميريت رع	:	ابنة حتشبسوت، وزوجة تحوتمس
السائق	:	رجل شاذ
المخبر	:	من أعوان الضابط حتب

وعمال وجنود وأهالي وخدم



الفصل الأول

المشهد الأول

الوقت : أصيل يوم من أيام عام ١٤٨٥ ق. م

المنظر : رياح محملة بأتربة كثيفة، لكن من خلالها يمكن رؤية تل عليه قبور متناثرة في أقصى اليمين .

في الوسط " مدق ترابيّ " يتعامد على طريق ذي فرعين الأيمن منها يفضي إلى خارج القرية حيث يبدو الفضاء ممتداً، والنهر يلمع أحياناً على خط الأفق البعيد، وأما الأيسر فيبدأ بجذع شجرة جدباء يقف عندها " شبانة ذاهلاً ".

وينتهي هذا الفرع الأيسر بمساكن متهالكة مقامة بأحجار وأخشاب وخروق.

وأقصى اليسار يمثل ربوة أعلاها مدخل كوخ خشبي تجلس أمامه السيدة " فاو " على مقعد حجري ممسكة عصا بين يديها.

يسمع صوت عربة تجرها جياد تتوقف خارج القرية . بعد قليل يدخل المهندس عاتى من فرع الطريق الأول فيبادر شبانة الذاهل قائلاً له في كبرياء :

عاتي : أنت في ظني شبانة

شبانة : (**منتبهاً**) سيدي عاتي هنا ؟

(**ولنفسه**) لا أهلاً ولا سهلاً

عاتي : رغم أعبائي الجسام أتيت فوراً حين أبلغت النبأ

(**ومحاولاً التبسط**) أجمل بصبر أنت بالصبر خليق

شبانة : أي صبر بعد أن دُفِنَ الجمال بغير عين أبصرته ؟!

عاتي : كن قوياً.. ما الذي تبقيه لامرأة تولول ؟

شبانة : ليتني كنت .. فأبكي دونما عتب عليّ

عاتي : للرجولة حكمها فلنلتزمه

شبانة : إننا قوم خلقنا تحت شرط الالتزام

فالتزمنا بتصاريف الزمان

والتزمنا بالقضاء وبالقدر

والتزمنا بقوانين الحكومة

فلماذا ليس نجني غير موت وافتقار ؟!

عاتي : (**باستياء**) تشتكون الفقر حتى بعد توظيفي لصهرك ؟!

شبانة : ليته يا سيدي لم يتوظف

فالوظيفة هذه.. قد أمطرت شؤماً علينا

عاتي : أمطرت شؤماً عليكم ؟! كيف هذا يا جحود ؟!

شبانة : يوم تسليم العمل

كان يوم العرس تحديداً

يومها قلتم سيادتكم له.. استلم فوراً وإلا..

فالوظيفة سوف نعطيها لغيرك

فاضطررنا تحت ضغط الحاجة القصوى لتأجيل الزفاف

عاتى : (**بخشونة**) ثم ماذا ؟

شبانة : وانتظرنا أن يعود ولو ليومين إجازة

عاتى : (**بخشونة أكبر**) ثم ماذا ؟

شبانة : " سعت " ظلت طول هذا الشهر ذاهلة صموتاً

ثم قادتها الخطى نحو الجبل (**ويخفى عينيه بكفيه**)

عاتى : هل تريد القول يا هذا بأني من تسبب في الوفاة ؟!

شبانة : لا تؤاخذني فهذى نفثة المكروب هبت دون قصد

إنه الحظ المعاند ليس إلا

عاتى : (**مرتاحاً**) هكذا القول الحكيم

أين فاروس إذن ؟

(كان شاب قد هبط من أعلى التل فيشير إليه شبانة ثم يمضــى إلى القرية منكسراً)

شبانة : ربما يدرى زواوى

عاتى : (**بنفاد صبر**) أين خدنك يا زواوى ؟

زواوى : جالس خلف التلال أظنه يبكى وحيداً

عاتى : كنت أبغي أن أعزيه بنفسي

إنما ما دام يبكى فلندعه الآن حتى يتماسك

لست ممن يعجبون بمظهر الضعف الزريّ

زواوى : (**مصدوماً**) إن فاروس قوى.. سيدي

غير أن الموت يحنى هامة السبع الهصور
وصديقي زوجوه صبية ماتت ولماً يملأ العينين منها
ليتكم يا سيدي أبصرتموه وهو يبكى ويقول :
لست أذكر وجهها
لست أذكر جسمها
لست أذكر غير هذا الاسم " سعت "
(**ولعاتى**) هل ترى تكفى حروف منك تذكرها الشفاه
كي تنال الخلد مثل الآلهة ؟!

عاتى : قف عن الهذيان يا هذا فلا وقت لدىّ
ولتكن أنت المبلغ كلمتي لزميلك الأرمل هذا
قل له يجتاز محنته سريعاً كي يعود إلى العمل
أو بلا شك سيفصل للغياب

زواوى : مرة أخرى يهدده قرار الفصل من تلك الوظيفة ؟!

عاتى : (**متجاهلاً**) قيل لي ... إن العجوز هناك ما زالت تقيم

زواوى : باركت إيزيس هذه السيدة
منذ أن جرفت سيول الموت قريتنا القديمة
وهى تلزم خطونا المكدود ما بين السباسب والقفار
أقسمتْ ألا تعود لبيتها حتى ترانا مفلحين

عاتى : ثم ماذا ؟

زواوى : ثم هبت للكفاح ولم تنم
حررت من أجلنا لمليكة العرش العرائض

راسلت كل الجهات بغير يأس

عاتى : **(مزمجراً)** والحكومة قصرت ؟!

زواوى : **(بتراجع)** الحكومة فوق رأسي إنما ..

بعد أعوام من الترحال قد ...

عاتى : **(مقاطعاً مكملاً)** ... صدر القرار

وها هي الأرض أمامك

زواوى : **(عائداً للمواجهة)** أي أرض ؟! إنها بور خرب

ولهذا نحن نشقى في المناجم والمحاجر

كي نعود إلى العيال ببعض أرغفة ومش

عاتى : أنتمو جيل ضعيف تافه شكّاء يا هذا المجادل

أين أنتم من جدود روضوا النهر وصاغوا

من هيولى الكون مصر الذهبية ؟!

زواوى : إننا نحتاج دعماً من حكومتنا الرشيدة

عاتى : فابعدوا تلك العجوز ونحن نأتيكم بثيران وأبقار وقمح

زواوى : ذاك يعنى أن نقابل بالجحود فُعالها

عاتى : لستمو في حاجة بعدُ إليها

فانصحوها أن تعود لدارها كي تريح وتستريح

زواوى : آه يا مولاي لو كنت لدينا .. لتفاخرت بها

كم غوِيّاً أصلحته. وكم مريضاً عالجته، وكم

صبياً حاولت تعليمه سر الكتابة

هل ترى لولا الذي بذلت لفاروس اليتيم

كان مولانا المهندس عينه ؟!

(والشمس تنحدر نحو المغيب يتوجه عاتى للربوة قائلا)

عاتى : سوف أمضى لأراها

زواوى : **(بصوت خفيض)** لن ترى إلا صمودا وإباء

بينما الداء الذي أخفته عنك يذيبها يوما فيوما

(وبينما يأخذ زواوى طريق القرية يصعد عاتى للربوة)

عاتى : أسعدت مساء يا فاو

فاو : أنت تعلمت الدرس

لأنك تدعوني باسمي لا باللقب الممنوع عليك

عاتى : عامان انقضيا منذ تلاقينا آخر مرة

فاو : فلماذا جئت اليوم

عاتى : لأعزى تلميذي فاروس

فاو : تعنى تلميذي يا سيد

عاتى : ليكن أنك علمت الشاب الأحرف والأرقام

لكنى ــ كمدير للهندسة المعمارية ــ

أعلمه الآن فنون التصوير على جدران المعبد

فاو : يا للسرقة !

عاتى : توظيفي إياه كنقاش .. سرقة ؟!

فاو : تتغابى يا عاتى

فلقد كنت على علم أني أشتغل بإعداد الشاب

كي يصلح أحوال عشيرته المحرومة

ولهذا أسرعت إليه لتقطفه قبل النضج
فانساق إليك ، ولكن لا تشمت بي
فلسوف يعود.. أؤكد لك

عاتى : لا لا.. فأنا أقنعت فتاك بأن الفقر جريمة
فتحول عنها لطريق الشرفاء المحترمين

فاو : يا لك من شيطان فاسد

عاتى : بل إني أنطق بالحق بلا تزويق
وهاأنت مثال حي لكلامي
فاو الحسناء.. أرملة التاجر
من عاشت ترفل في أثواب النعمة
قارئة البرديات المملوءة بعجيب الأسرار
هاهي ذي وبتأثير الإشفاق الرخو
انحدرت حتى صارت مثل الشحاذين
يوم اجتاح الفيضان أراضيهم قلت :
ضروري أن يهبط أحد ليساعدهم
وهبطت إليهم لكن هل صعدوا هم درجة ؟!

فاو : الفضل يعود إليك فأنت نشلت القائد منهم

عاتى : (بيأس) سنظل إذن مختلفين ؟

فاو : ذلك معلوم لكلينا. فلماذا جئت اليوم ؟

عاتى : أخبرتك لأعزى فاروس

فاو : ولكي تأخذه ليعيش هناك بلا عودة

عاتى : ولماذا لا ؟ ما دامت زوجته قد ذهبت غربا
فلماذا يبقى مثل الجذع اليابس في المدخل ؟!

فاو : كم من أسرار كامنة في هذا الجذع المجدب
لكن مثلك لا يمكنه أن يفهم تلك الأسرار

عاتى : مالا أفهمه حقا هو أنت
كيف اخترت التدمير الشامل لعلاقتنا
مذ أعلنتك أنى أحببت الملكة ؟!

فاو : **(هازئة)** أحببت امرأة تكبرك بعشرين من الأعوام !
أعرف أنك لم تعشق إلا حلمك بالعرش الملكي

عاتى : لن تتخلى عن تلك التهمة ؟!

فاو : فلماذا لم تعشق واحدة من فتيات الشعب ؟!

عاتى : حتشبسوت كمال منفرد في هذا العالم

فاو : ذلك ما قيل عن الفرعون السابق
وعن الفرعون الأسبق من ذاك السابق
ولسوف يقال عن الفرعون القادم دون حياء

عاتى : **(معاندا)** وعيي بجلالتها....

فاو : **(مقاطعة)** وعي العبد الأشقى بالسيد
وعي منقسم بين البغض المكبوت وبين الإعجاب الظاهر

عاتى : **(منفجرا)** بل وعيك أنت تلونه أبخرة الغيرة
(يرين بينهما الصمت وقرص الشمس يبدأ في الاختفاء)

فاو : من أنت ؟

عاتى : (**بقوة**) ابنك .. ولتمض بإنكارك ما شئت

فاو : ليس صحيحا قولك. وأنا أفهمتك هذا من قبل

عاتى : أو لم تلديني ؟

فاو : تتحدث عن والدة جسدية ؟!

القطة أيضا والدة لكن ليست أما

عاتى : لم نسمع عن أم تنكر ابنا لخلاف فكرى محض

فاو : (**تنهض بصعوبة**) جئت لأجل مصالحك الذاتية

جئت لتأخذني من هذى البقعة

حتى لا ينقل أنك ولد لامرأة مخبولة

امرأة تحيا بين الجوعى التعساء

حينئذ تسقط من عيني حتشبسوت المترعتين

بشبع ملكي

هل هذا محض خلاف في الأفكار ؟!

ها أنذا ألمح في عينيك بريق المقت

ولعلك تتمنى أن تبصرني ملقاة في قبر مظلم

أخت تراب تتخطاه خفيفا للعرش

(صمت ثان تشارك فيه الريح، ومع اختفاء الشمس يبدأ الناس في العودة من تل القبور إلى طريق القرية)

عاتى : إني لا أتمنى موتك بالطبع

لكن أتمنى أن تتغير أفكارك

فاو : لن تتغير أفكاري حتى يصبح للقوم حقول وبيوت

(وتهبط التل متوكئة على العصا يتبعها عاتى يائسا)

يكفي أن عروس القرية " سعت "

وقعت في الهاوية مساء الأمس بسبب الفاقة

لو كان لخاطبها حقل يستخرج منه القوت...

هل كان يطيع قرارك هذا القاتل ؟

عاتى : (**يقفز ليقف أمامها**) هذى المرأة لم تقتل بقرار

هذى المرأة كان لديها عمر محدود والأعمار بأيدي آمون

فاو : (**باحتقار**) أفسح لي

(في تلك اللحظة تنفجر العاصفة دفعة واحدة فيصرخ هو)

عاتى : لن يتحمل جسمك ضربات العاصفة فهيا اتبعيني

فاو : (**وعصاها في صدره**) امض ولا ترني وجهك

(فيسرع هو بالخروج من طريق الوسط بينما تتقدم هي قائلة لشبانة العائد من القرية)

فاو : أين فتانا فاروس ؟

شبانة : هاهو ذا يأتي خلف الصحب

(يظهر فاروس في الوقت الذي يسمع صهيل جواد وصوت عربة عاتى تتحرك مسرعة)

شبانة : لماذا غادرت الكوخ أيا سيدتي ؟

فاو : (**لفاروس**) لك عندي كلمات لا بد تقال

فاروس : (**بقلق عليها**) لا بأس ولكنك ...

فاو : ماذا ؟

فاروس : (**متحسسا جبينها**) رأسك مشتعل مثل الجمر الحي
(**ولرفاقه**) فلنحملها الكوخ

فاو : بل أتكلم في هذا الموضع دون سواه

فاروس : ما دخل الموضع هذا بحديث أيا كان ؟

فاو : لا ترهقني ، وأصرف صحبك …
(**وصائحة فيهم**) لا تعصوني يا أولاد .
(**فيبتعد الجمع في تثاقل مهموم والظلمة تسربلهم**)

فاروس : ماذا بك يا سيدتي ؟

فاو : عندي سر لا يعرفه غير الموتى

فاروس : ماذا تعنين بهذا القول المرعب ؟

فاو : هل تبصر هذا الجذع الميت يا فاروس ؟

فاروس : أبصره بالدمع المخلوط بأتربة الريح
فهو يذكرني بامرأتي في حفرتها

فاو : (**بحشرجة**) هذا الجذع هو السر
في إمكانك أن تبعث فيه حياة تتجدد

فاروس : (**مندهشا**) كيف ؟!

فاو : (**بحشرجة تتزايد**) لو أنت عقدت النية والعزم

فاروس : (**بقلق أكبر**) صوتك يتكسر كالأغصان الجافة
هيا نصعد للكوخ سريعا

فاو : دعني أتكلم قبل رحيلي (**وترقد على الجذع المجدب**)

فاروس : رحيلك ؟! وهل يتحمل قلبي موتين بيوم واحد ؟!

فاو : هذا ما كنت أريدك أن تعرفه يا فاروس
ليس الموت سوى مرض بين الأمراض المختلفة
ولبعض الناس القدرة أن يشفى منه المرضى
و... أظنك أنت منحت القدرة هذى

فاروس : تتخلعين من الجسم كما ينخلع المرء من الثوب

فاو : **(وهى تلفظ أنفاسها)** أنت طبيب القوم
فلا تتردد .. في ... أن ... تحيي ... موتاهم
(وإذ يهزها فلا تتحرك يطلق هو صرخة يائسة)

فاروس : رحلت أم القرية يا أخوة !

(فيعود زواوى وبعض الشباب مسرعين يحملون الجثمان
إلى أعلى، بينما يهوى فاروس على الجذع باكيا
والعاصفة تنفجر بعنف ويغطى التراب والظلام المنظر بأسره،
ويسمع صوت ناي حزين من بعيد..
بعد فترة تهدأ العاصفة، ويبدأ القمر في اختراق السحب، و
فاروس يقف أمام الجذع الميت يخاطبه)

فاروس : أرأيت مصيري يا هذا الجذع الميت ؟!
هذا أتعس أيام حياتي
فيه فقدت امرأتي وكذلك ماتت فيه نصيري ومعلمتي

فيما قبل أنا كنت يتيما لا أخوة لي أو أخوات
واليوم ترملت قبيل دخولي بالزوجة
وغدا أمضى بين الناس كنهر جف الماء به
فلماذا أعمل ؟! ولمن ؟! وكيف سأحلم ؟! وبما ؟!
و فيم العيش إذا ما ولت كل الرغبات بلا رجعة ؟!
(من تل القبور تهبط شابة منقبة)

الشابة : ما أبعد أقوال الناس من الأفعال !
(**وبسخرية**) ولت كل الرغبات ؟!
دعنا ننتظر إلى أن تشعر بالظمأ المعتاد
ولسوف نراك تفرغ جرة ماء كاملة في بطنك
وشعور اللذة يملأ كل شرايينك

فاروس : من أنت ؟! ومن أين أتيت ؟!

الشابة : (متجاهلة سؤاله) و... بلا ريب سوف تجوع غدا
أو... في أقصى تقدير بعد غد
وستأكل – حينئذ – بشهية ذئب أعمى .. صدقني

فاروس : (**صائحا**) من أنت ؟! .. أجيبي

الشابة : (**مستمرة**) لكن .. كي تأكل .. فضروري .. أن تعمل
أم تتصور أن الآلهة تنزل مائدة من أجلك ؟!
بالطبع ستعمل.. والعمل كفيل يا أخ بتوليد الرغبات الأخرى
فلماذا لا تعترف من الآن بأنك حي تسعى ؟
ولأنك تسعى .. فأنا جئتك .. بالصفر

(**وبرقة شديدة**) مبسوط ؟!

فاروس : (**منفجرا بالغضب**) من أنت ؟! وإلى ماذا ترمين بهذيانك!

الشابة : لم تسألني أيضا .. ما الصفر ؟

ولماذا آتيك به يا عم ؟

(**وتستمهله بأصابع مضمونة**) واحدة واحدة لا تتعجل

جئتك بالصفر لكي تنقله للأعداد

فالأعداد بغير الصفر تظل كما ولدت خاملة*

وستفهم مغزى قولي هذا في وقت لاحق

والآن إليك جواب استفسارك عنى

إني .. لا تفزع .. عاهدني ألا تفزع .. عاهدني هيا

(**وتصافحه رغما عنه فيصرخ فيها**)

فاروس : غوري عن وجهي، أو قولي من أنت

الشابة : إني وبلا لف أو دوران ، قرينة سعت امرأتك

فاروس : (**يقفز كالملدوغ**) الـ... كا ؟!

الشابة : أنت وعدت بألا تفزع .. صح ؟!

خذ نفسا في صدرك واخرجه ببطء

كرر هذا بضعة مرات

حسنا .. هذا أفضل من قرقرة الأمعاء

والآن أذكرك بأن قرين المتوفى ...

لا بد يطوف حول الأحباب .. من القمر إلى القمر التالي

ويزيد عليها عشر ليال أخرى .. تعلم هذا أم لا ؟

فاروس : (**وما زال يرتجف**) أعلم .. لكن ..

الشابة : (**متحولة إلى الأغراء**) فتصور يا فاروس ليالينا هذى آه

هل تتصور كيف سنقضيها

فاروس : (**ذاهلا**) ما أدراني ؟!

الشابة : طفل أنت ؟! ماذا يفعل رجل وامرأة في الليل ؟!

فاروس : (**بأنفاس تتلاحق**) ماذا ؟

الشابة : منذ قليل .. كنت تقول لأصحابك

إنك لا تذكر وجه امرأتك (**وتبدأ في الرقص**)

فلماذا .. لا تسألني .. أن أخلع ...

عن هذا الوجه .. غلالته لتراه ؟

فاروس : (**كالمسحور**) هل هذا ممكن ؟

الشابة : ما جئت إليك .. سوى .. لأحقق .. ما تتمناه

(**وتخلع القناع قائلة بإغراء طاغ**) أنظر

فاروس : (**مبهوتا**) ماذا ؟! حتشبسوت ؟!

الشابة : (**ببساطة**) في سن العشرين

فاروس : (**مغمغما لنفسه**) وهم هذا بالطبع

الشابة : فالمس ــ من حيث المبدأ ــ وجهي كي تتأكد

فاروس : (**متراجعا بذعر**) لا .. فأنا لا أعرف من أنت

الشابة : فالمس هذا الجذع المعروف لديك

وانظر بعد قليل ماذا يحدث

(**فيلمس هو الجذع كالمسحور ثم يستدير إليها**)

فاروس : لكن كيف أراك بصورة حتشبسوت ؟!

الشابة : ذاك لأني تجسيد لمشاعرك المخفية

فاروس : لست إذن سعت !

الشابة : لقرين الميت أن يتشكل في أية صورة

والآن تعال إلى أحضاني لا تتردد

والثم شفتيَّ بفمك الظمآن

وانهل من ريقي الشهد المرتعش على ثغري الوردي

أدخل نهديَّ بصدرك حتى يجرى الدفء بكل شرايينك

وتحسس بطني ذات الكأس المترعة بخمر الإعطاء

وأنا أتعلق في حقويك بساقيَّ الناعمتين

كي نرقص فوق سرير الليل الممتد

حتى تشعر أنك جسم فيه الأنثى والذكر معا

فاروس : (**وهو يلهث**) أدركت اللذة كاملة بكلامك

الشابة : ولسوف نكررها مرات فوق فراشك .. هيا

(وتجذبه من ذراعه لكنه يخلص ذراعه بعنف)

فاروس : قلت أنا أدركت اللذة لكن مشتاقا لامرأتي

فأنا لست أخون الزوجة

أو أستبدل بمكانتها في جسدي امرأة أخرى

حتى لو كانت حتشبسوت بسن العشرين

الشابة : (**بلكمة أنثوية**) مع أنك لا تذكر منها إلا الاسم

فاروس : يكفيني الاسم الدال عليها

الشابة : أنت إذن .. ترغب حقا .. في إحياء امرأتك؟!

فاروس : طبعا .. مع أنى أعلم بيقين أن التنفيذ محال

الشابة : **(وهى ترقص بمرح)** تعلم بيقين؟!

اسمعني يا ولدي وتدبر

(وتدق على صدره بإصبعها مع كل كلمة)

لا يوجد.. ثم.. يقين.. في هذا العالم.. صدقني

فاروس : **(صائحا)** إلا الموت

الشابة : بالذات الموت هو الوهم الأكبر

فاروس : لم يتشكك أحد من قبل بأن الموت حقيقة

الشابة : فلتتشكك أنت من الآن

فاروس : كيف وقد عاينتُ بيومي الأسود هذا موتين ؟!

الشابة : ليس الموت سوى مرض مزمن

أما أنت فيمكن أن تقهره .. فلقد أعطيت القدرة

فاروس : **(مشدوها)** قالت فاو كلاما يشبه قولك هذا

الشابة : وسنبدأ فورا بالتجربة عليها

فاروس : من تعنين ؟!

الشابة : أعنى فاو .. هيا وانقش صورتها فوق الجذع

فاروس : **(كالمنوم)** في جيبي مسمار يصلح للنقش

الشابة : يكفى رسم الوجه

فاروس : **(وهو يعمل كالمحموم)** وماذا بعد الرسم؟

الشابة : سترى عجبا وستفهم سر حياتك
إذ يكفي أن تتحقق أمنية المرء لكي ينتصر على الموت
فاروس : وماذا كانت أمنية امرأتي؟
الشابة : كانت تتمنى .. أن تُنقش صورتها .. فوق جدار ...
فاروس : (**بلهفة**) أي جدار ؟
الشابة : جدار في الدير البحري.
فاروس : (**يشهق**) ماذا ؟!
الشابة : و... بجانب صورة حتشبسوت
فاروس : (**يعود إلى عمله بيأس**) هل هذا معقول ؟
الشابة : هو صعب لكن..ليس محالا
ما دمت أنا معك فلا تتخوف أو تحزن
سأقودك عبر السرداب السري إلى حيث
تحقق مطلبها
فاروس : كيف أحقق مطلبها وأنا لا أذكر تفصيلات الوجه ؟
الشابة : يكفيها الاسم .. وذاك ثلاثة أحرف
السين سعادتها، والعين لعودتها
والتاء لكي تحيا أبد الدهر
فاروس : ها هي ذي فاو كما أنت طلبت
الشابة : والآن أريدك أن تتأمل أغصان الجذع بإمعان
فاروس : (**يصرخ مندهشا**) ما هذا ؟! أوراق خضراء هنا وهناك ؟!
(تتسلل هي بخفة خارجة أثناء ما تسمع أصوات

تهبط مسرعة من أعلى الربوة)

شبانة : معجزة يا فاروس

زواوى : عاد إليها النبض

شبانة : وكذلك فتحت عينيها وتنفست الصعداء

فاروس : تقصد من ؟!

شبانة : أم القرية فاو

فاروس : (**يتراجع بظهره مذهولا**) ليس الأمر إذن وهما !
فالدور الآن على سعت
(**ثم ينطلق يعدو مرددا**) خلفك يا هذى للدير البحري

(يتبادل الرجلان النظرات المندهشة)

إظلام

المشهد الثاني

الوقت : اليوم التالي والشمس تتجه غرباً

المنظر : إلى اليمين كوخ خشبي أنيق، في شرفته يجلس المهندس عــاتى وصديقه الملتحي التاجر الصومالي "سرسور" وبينهما بقايا طعام على مائدة تتوسطها قنينة خمر وكأسان.

وفى أقصى اليسار يرى قطاع جانبي من الدير البحـــري حيــث انصرف العمال إلى غذائهم جالســين فـــي وجـــوم. ويُـــرى الملاحظ " شندى " يطوف حول الدير مهموماً.

سرسور : ما أعظمكم يا مصريون !
معمار وفضاء وظلال وأناقة
(**ويتجشأ بقوة**) وطعام يغري حتى الآلهة العظمى
أما أروع ما فيكم فنظافتكم
تغتسلون خلال اليوم الواحد عدة مرات
أما بدعتكم حقاً فإزالتكم للحية والشارب
كيف صنعتم تلك الأمواس المرهفة الحادة ؟!
أخشى أن أستعمل إحداها فأجز عروقي
أعترف بأنك أستاذي في الذوق
لكن..لا تنس من الناحية الأخرى

أنى علمتك فن ركوب المرأة في الصومال
(**ومقهقهاً**) تلك الزنجية .. هل تذكرها؟
كانت متخصصة في فض بكارات الغلمان الصبية
أشعلت النار بجسمينا قبل أوان الإشعال
كنا دون العاشرة .. أليس كذلك ؟
(**ويصب خمراً في الكأسين**) خمر الصومال تحيي مصر
(**ومشيراً إلى نفسه**) ومليك الصومال القادم
يشرب نخب الفرعون القادم..عاتى
(**ومتوقفاً**) فيم شرودك يا صاح ؟

عاتى : أخشى أن سننموت سيظفر بالجائزة الكبرى

سرسور : ابصق من فمك ولا تلعق
لست أريد سواك على عرش بلادك
من غيرك سوف يساعدني حين أقرر عزل مليكي ؟!
اسمع نصحي ... لا تتخاذل
فالعصر القادم عصر التجار وأبناء التجار

عاتى : (**ينهض**) مطلوبك سهل يا سرسور
فبلادك ــ واسمح لي ــ بلد أناس فقراء
ومليك بلادك "برحو"
يعتمد على أمثالك من أصحاب الثروات الضخمة
ولهذا .. أنت رهانك مضمون
والهدف أمامك مفتوح كذراعيْ زنجيتك المحترفة

أما هدفي .. فيواجه بنظام جبار
تحميه إدارات وقوانينُ وأعراف وسياسيون وكهنة
سرسور : قل لي من تخشى بالتحديد ؟ تحوتمس ؟
حبسته العمة حتشبسوت بسجن اللقب الشكليّ
ولهذا ما زال رضيعاً يتبرز فوق بلاط سياستها
زوجته ميريت رع ؟ يأكلها مرض غامض
ليست إطلاقاً مثل شقيقتها المرحومة نفر
من غيرهما ؟ مجدو القائد ؟
حنطه عهد السلم فصار بليداً رخواً ذا كرشين
ودهونٍ تنضح زيتاً إذ يتنفس .. من أيضاً ؟
قلت سننموت كبير الوزراء ؟
أعرف أن الرجل يغازل حتشبسوت لكي ترفعه للعرش
لكنّ مغازلة تستغرق عشرين من الأعوام بغير وصول
تكشف — في الغالب — عن عجز جنسيّ
(الملاحظ شندى يبدأ في الاقتراب من المسكن)
أما الثور الجامح عاتى فجدير ببلوغ القمة
عاتى : ذلك ما كنت أظن إلى مبتدأ الأسبوع الماضي
سرسور : وماذا حدث بمبتدأ الأسبوع الماضي ؟
عاتى : سمحت حتشبسوت له أن ينقش صورته خلف الأبواب
سرسور : وهذا يعني ...
عاتى : (**مكملاً**) أن زواجاً بينهما يوشك أن يُعقد

(**وللملاحظ الذي اقترب**) ماذا يا شندى ؟

شندى : فكرت بأن أدلى برغيف في الجب

عاتى : (**بإنذار**) شندى..لا تتدخل فيما لا يعنيك

شندى : فإذا غضب العمال وفروا... ؟

عاتى : (**مزمجراً**) شندى .. أتهددني بالعمال ؟

شندى : ليس العمال عبيداً أو أحجاراً يا مولاي

وكذلك للتأديب حدود

عاتى : (**بسخرية غاضبة**) ذكّرني أن أطلب في تقريري السنوي

أن يأتونا بامرأة تحتضن العامل إن أخطأ

شندى : يا مولاي .. أنا لم أسأل حتى عن سبب الإيقاف

لكن الشاب سيهلك .. وأنا المسئول أمام الشرطة

عاتى : (**بغضب**) ارم إليه ببعض الماء ونصف رغيف لا أكثر

شندى : شكراً لسيادتكم (**وينطلق صائحاً بالعمال**)

صاحبكم سينال طعاماً وشراباً

فانطلقوا أنتم للعمل الآن (**فيهلل العمال بسعادة**)

سرسور : ما الموضوع ؟

عاتى : شخص معتوه يدعى فاروس .. كاد يضيعني

لكني المخطئ إن شئت الحق

فالمقترب من الفقراء كمن يقترب من العقرب

(**وصائحاً**) طبعاً فهمو سفهاء بغير عقول

مجبولون على حقد فطري ليس يُعالج

فضلاً عن ولعٍ مجنون بالتقليد الأعمى للأسياد

سرسور : دعنا من آرائك ــ تلك المعروفة ــ في الفقراء وقل لي
ماذا فعل الشاب الملقى في الجب ؟

عاتى : هو شخص آنست به موهبة في رسم الأوجه
وبطيبة قلبي أسندت إليه وظيفة نقاش
فتصور ماذا سجل فوق جدار المعبد خلسة !

سرسور : ماذا؟

عاتى : اسم امرأة كادت تصبح زوجته في الشهر الماضي

سرسور : يا لجسارته !

عاتى : (**هامساً**) وبجانب صورة حتشبسوت

سرسور : (**يضج بالضحك**) ابن اللبؤة !

عاتى : فتصور وضعي لو كشفت حتشبسوت الأمر

سرسور : (**يتوقف عن الضحك فجأة**) كانت تائهةً فوجدناها

عاتى : عما تتحدث.

سرسور : (**يهب واقفاً**) ذلك ما سوف يطيح بخصمك

عاتى : أي هراء سمج هذا؟

سرسور : (**وهو يتمشى منفعلاً**) لا تتهور واسمعني
من أقوال ملاحظ عمالك
أدركت بأن الحادث هذا لا يعرفه إلاك

عاتى : وماذا بعد ؟

سرسور : ولعلك لم تمح النقش إلى الآن

عاتى : طبعاً أنتظر حلول الليل لأمحوه

سرسور : لا تفعل هذا أبداً

عاتى : (**صائحاً**) أتريد لغيري أن يبصره فيذيع وأُسأل ؟!

سرسور : وأريدك أيضاً أن تتقدم ببلاغٍ لمدير الشرطة

ودع الجاني يهرب قبل الإبلاغ

عاتى : هل تمزح في موطن جد يا سرسور؟

سرسور : افهمني يا من تعمل بالهندسة المعمارية

أو ليس سننموت يسجل خلف الأبواب اسمه ؟

عاتى : باستئذان الملكة

سرسور : هل صدر قرارُ رسمي يمنحه هذا الحق ؟

عاتى : لا .. لكن مفروض أن جلالتها تعلم

سرسور : حسب كلامك رسمياً هي لا تعلم

فماذا عن رأى تحوتمس ؟ هل يرضى ؟

عاتى : أغلب ظني أن لا

سرسور : ما رأيك لو أن اسم المرأة هذى...

(**و ببطء**) أُلصق بوزيرك ؟

عاتى : (**مشدوهاً**) كيف ؟

سرسور : (**شارحاً**) في أسبوعٍ بدأ سننموت يسجل ماذا ؟

(**ومجيباً**) اسم سيادته

والأمس تجرأ أكثر

فانطلق يسجل ــ يا للهول ! ــ اسم عشيقته أيضاً

عاتى : اسم عشيقته ؟

سرسور : ذلك ما سوف تسربه لمدير الشرطة

ومدير الشرطة .. سوف يسرب هذا التحليل إلى الملكة

فإذا رفضت حتشبسوت التصديق

لابد سيقبله ابن أخيها من باب معارضة العمة

فتصور ماذا سوف يقول تحوتمس لرجال الدولة

(**ويقلده**) أرأيتم لسفاهة سيدة الدير البحري

ظلت تسند هذا الشخص إلى أن دنس كل الأعراف

(**وعائدا لصوته**) وبهذا يُمنح شرعية قتل سننموت

وسيفعلها بالطبع .. أليس كذلك ؟

عاتى : (**مرتبكاً**) لا بد

سرسور : حينئذ تبحث حتشبسوت حواليها عمن يدعمها ...

عاتى : (**لاهثاً**) ليس سواي

سرسور : حينئذ تهمس أنت بأذن الملكة

أن تحوتمس صار يمثّل خطراً لا بد يزاح

وستعطيك الأذن الصاغية .. أليس كذلك ؟

عاتى : (**يهتف بسرور**) داهية أنت بلا ريب

سرسور : لا يُخرجُ أحداً من ورطته غيرُ صديقٍ مخلص

عاتى : (**رافعاً كأسه يحييه**) صديقي أنت بلا شك

سرسور : وصديق أيضاً لجلالتها

وحريص في نفس الوقت على مصلحة الصومال

(**ورافعاً كأسه**) خمر الصومال تحييك
فاذكر حين " تُفرْعَنُ " أن تمنحني العون
كي أعلو مثلك عرش بلادي
حينئذٍ يبقى السلم لألفين من الأعوام

عاتى : (**يصافحه بحرارة**) ذلك ما أتمناه لبلدينا

سرسور : فاحرص ألا يعرف مخلوق أنك هرَّبت الجاني

عاتى : قبل الفجر سيلقى حبل في الجب
حبل مربوط في وتد من أعلى

سرسور : فمن ألقاه ؟

عاتى : طبعاً أحد العمال الأوغاد

سرسور : (**يجلس راضياً**) ما إن تهدأ حتى ينطلق ذكاؤك
كغزال في الغابات الصومالية

عاتى : بمناسبة الغزلان
عندي في قصري النيليّ غزال أنثى
تُرجع شيخ التسعين إلى ابن السادسة عشر

سرسور : (**واثباً**) وتضيّع يومي بين حميرٍ تنقل أحجاراً ؟
امش أمامي

عاتى : (**ضاحكاً ومدعياً الخوف**) ليس وأنت بهذي الحالة

سرسور : (**يجره**) جربت أنا لحم الثيران فلم يعجبني

إظلام

المشهد الثالث

الوقت : بعد يومين

المنظر : بستان القصر الملكي والشمس تغمره والبلابل تغرد فيه.
ثمة بابان الأيمن يفضي إلى داخل القصر، والأيسر إلى الخارج .
من الداخل تأتي حتشبسوت واضعة لحيتـــها التقليديـــة تتمشـــى
ويداها خلف ظهرها،
وراءها سننموت

حتشبسوت : ها أنا ذي قد أوقفت التحقيق الرسميّ
سننموت : كيف أصور لجلالتك فظاعة ذاك الكابوس
حتشبسوت : (**تتوقف فجأة**) لكن .. لابد لنا من وقفة
سننموت : إني رهن إشارة مولاتي
حتشبسوت : هذا حق وا أسفاه
فلقد كنت صديقاً أعتمد عليه
لكن الزمن القادم يتطلب أن نتجدد أو نتلاشى
هل تدرى ماذا يحدث لو بقيت كل الأزهار بنفس الشجرة ؟
(**تقطف وردة**) ما كان لورد من نوع أرقى أن يتفتح
سننموت : معذرة .. فأنا لا أفهم قصدك
حتشبسوت : شخت إذاً وتخلى عنك ذكاؤك يا سنموت
سننموت : هل يعنى هذا أن أستعفي ؟

حتشبسوت : يا ليت الأمر اقتصر على استعفاء أو إقصاء

سننموت : مولاتي تعلم أنى مظلوم

حتشبسوت : (تعود للسير) هذا ليس المعيار إذا نتكلم كسياسيين

سننموت : (**سائراً وراءها**) ما المعيار إذن ؟

حتشبسوت : ثمة وحشٍ يطلب وجبته أو

ينشب في الكل الأنياب

سننموت : لست خروفاً يلقى للسبع الهائج

حتشبسوت : (**تتنهد**) أنت اليوم وبعدك يا سنموت أنا

(**وبحكمة**) تلك الأيام مداولة بين الخلق

والعاقل من لا يشكو من طبع الأيام

سننموت : هل يعنى هذا أنك في موضع تهديد ؟

حتشبسوت : لا شك

سننموت : كيف وأنت الملكة لا زلت وسوف تظلين ؟

حتشبسوت : إني ما زلت ولكن لست كما كنت

(**وبغضب**) كبر تحوتمس يا صاح

وأنا أصبحت عجوزاً لا أصلح وحدي لإدارة أحوال الدولة

ولهذا فأنا أنزع هذى اللحية عن وجهي

(**وتلقى باللحية على الأرض بعنف فيحدق فيها سننموت**)

سننموت : باللحية أم دون اللحية ..

أنت بعينيَّ امرأة أجمل من كل نساء العالم

حتشبسوت : (**بيأس**) مع أنى حاولت طويلاً ألا أبدو كالأنثى

كنت أفضل أن أتحلى بحياد جنسيّ ، تفهمني ؟
أعنى أن أحيا إنساناً
لا قلماً يبحث عن محبرةٍ أو مكحلةً تنتظرُ المِرْوَد
(**وتجلس على المقعد الحجري**) لكنى أخفقت
حذر ماذا بالأمس رأيت بنومي ؟
رأيت أنى عدت إلى سن العشرين
وكان هنالك شاب يصلح للفتيات اللائى يتشهين الحمل
رحت أغازله فاستعصم .. أتصدق هذا ؟
أتصدق أن تحلم حتشبسوت العظمى
بفتى عادىّ ليس له من جاه أو منصب ؟

سننموت : بالنسبة لي فأنا......

حتشبسوت : (**تقاطعه ضاحكة**) فات أوان مراودتي بالنسبة لك
(**وتقطف زهرة أخرى تتشممها باستمتاع**)
فحتى لو آنست إلى عاطفة الأجساد الملتهبة
هل أنشدها عندك يا شيخا سقطت من فيه الأسنان ؟!

سننموت : (**بحزن**) أحببتك مذ كنا شابين

حتشبسوت : فلماذا لم تخبرني في ذاك الوقت ؟

سننموت : شلت هيبتك لساني

حتشبسوت : (**بسخرية**) ولهذا استبدلت بحبي تلك المدعوة سعت ؟

سننموت : (**صائحا**) إني لا أعرف شخصا يدعى سعت .. وأقسم

حتشبسوت : (**تهب واقفة**) من في رأيك سجل هذا الاسم إذن ؟

العمال يعودون مع المغرب لمنازلهم

والحراس يحيطون الأبواب جميعاً إلا...

(**وبنعومة مفاجئة**) إلا باب النفق السريّ

إذ لا يعرف أحداً موضعه (**و صائحة**) إلا...

من صممه وبناه بأفراد نقلوا لمناجم سيناء

يعنى لا يعرف أحد هذا النفق سوانا نحن الاثنين

بل إن تحوتمس – ابن أخي ووريثي الشرعيّ –

لا يعرف شيئاً عن هذا النفق المفضي يا سنموت لمقبرتي

فامنحني عقلك وأجبني .. هل أتشكك في نفسي ؟

سننموت : طبعاً لا

حتشبسوت: حسناً .. فيمن تتشكك لو كنت مكاني ؟

سننموت : (**يكاد يبكى**) في سننموت المسكين

حتشبسوت : ولقد شهد مهندسك المدعو عاتى

أنك كنت تطوف بحرم المعبد في الليل

سننموت : (**مرتعداً**) ذاك لأني..

حتشبسوت : وكذلك صرحت لبعض السفهاء بأنك حاكم مصر الفعليّ

سننموت : (**بألم**) ذلك تأويل شرير لحديث جد برئ

حتشبسوت : (**صائحة**) يعنى صرحت!

(**وتقترب منه بوجهها**) من سعت ؟!

سننموت : لم أسمع هذا الاسم – وأقسم – إلا بالأمس

أعني حين ابتدأ التحقيق

حتشبسوت : (**بفحيح**) تلك عشيقتك السرية

لكنى المخطئة بحقي لا أنت

وافقتك أن ترسم صورتك البشعة خلف الأبواب

فكان جزائي أن تأتيني بعشيقتك .. أليس كذلك؟

سننموت : (**مختنقاً بالدمع**) يشهد آمون عليّ بأني لم أفعل

حتشبسوت : لا فائدة من الإنكار لأنك لو أنكرت ستعدم

مثلك مثل القتلة والخونة ولصوص الأهرامات

وسيرمون بجثتك العارية لكي تنهشها ذئبان الوادي

سننموت : رحماك...

حتشبسوت : (**مقاطعة**) اسمع

وتأمل هذا البلبل كيف يغرد لأليفته فوق الشجرة

(فترة صمت تعود بعدها إلى الهدوء)

من أجل صداقتنا ساومتُ تحوتمس

ولسوف يؤجل رفع الدعوة للمحكمة العليا يومين اثنين

ومقابل هذا ... أنت ترتب نفسك لرحيل هادئ

سننموت : (**متأوهاً**) النفي إذن ؟!

حتشبسوت : ليس النفي

سننموت : (**مرتعداً**) تعنين إذن ماذا ؟

حتشبسوت : أن تسبقهم أنت إلى التنفيذ

أن تتلاشى دون محاكمة مربكة للدولة

أو لست تحب الدولة يا سننموت ؟

سننموت : (مشدوهاً) يعنى مطلوب أن أقتل نفسي

(تصفق هي فيسرع عبد إليها حاملاً صينية عليها قدحان فضيان يقدمهما باحترام وينحني منصرفاً)

حتشبسوت : (**متأملة قدحها**) ذهب في فضة!

تلك هي الجعة المصرية

أما جعة البلدان الأخرى فنقيع شعير زائف

طبعاً طبعاً فالإبداع هَوِيَّتنا مذ شيدنا الأهرامات

أما التقليد فإنتاج الأقوام المحرومين من الموهبة الربانية

ناقشنا هذا من قبل..أتذكر ؟

هيا اشرب واستمتع مثلى بأصالتنا

سننموت : هل هذى آخر كأس لي ؟

حتشبسوت : (**بحدة**) كيف جرؤت ؟

كيف سمحت لنفسك أن تتصورني قاتلة يا هذا ؟

تتصور أنى أغتال صديقاً في بيتي ؟ يا للخسة !

سننموت : معذرة يا مولاتى

حتشبسوت : هل هذا رأيك في أخلاقي ؟

سننموت : غفرانك .. لم أقصد ..

حتشبسوت : (**بالتياع**) وأنا من كادت أن .. لكن لا

إني غاضبة منك إلى أقصى حد

سننموت : (**متعلقاً بالأمل**) قلت جلالتك بأنك كدت...

حتشبسوت : كدت أقول ... (**وبتراجع**) لا لا

ولماذا أدعم شخصاً يتحدث عن حب دون دليل ؟!

سننموت : (**منتعشاً بالأمل**) سأقدم ألف دليل للإثبات، فقولي

حتشبسوت : لو كنت أنا رجلاً وعشقت امرأة حق العشق

لوضعت حياتي بين يديها دون ظلال من ريبة

سننموت : إني لا أرتاب وها أنا ذا أشرب ما في القدح ولو ...

حتشبسوت : (**مقاطعة**) ولو ماذا ؟! أكمل .. عبر عما في نفسك

" ولو كان به سم "

ذلك ما كدت تقول ولا تقسم بالنفي

هات القدح إذن

سننموت : بل أشرب ما فيه بغير تحفظ

(ولكنها تنزعه وتسكب محتوياته على الأزهار)

حتشبسوت : و ها هو ذا قدحي أيضاً، فلقد صُدت نفسي

طبعاً في جيبي قنينة سم

لكنى لا أحملها إلا لعدو

(**وبعد شرود تلتفت إليه**) سننموت صديقي

هل تحسب أنى ألهو بمصيبتك الحالّة ؟

سننموت : (**بتردد**) أكاد أظنك واحدة أخرى لا أعرفها

حتشبسوت : (**بحماس**) ظنك ظني

أو فلماذا أتصرف مثل فتاة في سن الطيش ؟

أتراني أتشاغل عن صاعقة توشك أن تضربني ؟

سننموت : (**مرتمياً على قدميها**) يا مولاتى المحبوبة

ما دمت ترين الخطر يُحَوِمُ أيضاً حولك
فلماذا لا ننجو بحياتينا ؟!

حتشبسوت : (**بجفاء**) انهض يا هذا .. أجننت ؟
هذى الأزمة كشفت لي عن شخصيتك المخبوءة
استغلاليّ أنت إلى هذى الدرجة ؟
أتحاول أن تستثمر لحظة ضعفى كي تنجو بحياتك ؟
تدعوني أن أتخلى عن مسئولياتي ؟
لأعود فتاة عابثة تهرب وعشيق في عمر أبيها ؟

(يظهر العبد ثانية فينهض سننموت من ركوعه الذليل خجلاً)

سننموت : أقسم أنى...

حتشبسوت : (**في ضيق**) أنت كثير القسم اليوم
ولذا يثبت أنك تخدعني .. يا خيبة أملى فيك
كنت أريدك أن تمضى للموت جسوراً محترماً
مثلاً تغرس في قلبك سكيناً لامعة ذهبية
أو ترمى نفسك من سطح الدار إلى الأرض
أو تسكب سماً في جعة طازجة صُنِعَتْ في
مطبخك العامر
وبهذا تضمن تحنيطاً مبتسماً كحليب الصبح الفوار
وتنال جنازة دفن يحضرها كل رجالات الدولة
وأخيراً ترقد في مقبرة تتألق مثل اللؤلؤة البحرية
(**وصائحة بالعبد المنحنى**) اذهب عنى يا عبد السوء

بل قف . لا بد هنالك أمر هام . ما عندك ؟

العبد : مولاي تحوتمس...

حتشبسوت : **(مقاطعة بضجر)** قل لجلالته أن يأتي

فلقد أنهيت لقائي برئيس الوزراء السابق

(ينحني سننموت ثم يخرج من باب البستان دون كلمة وكذلــــك يفعل العبد عائدا إلى داخل القصر.

بعد قليل تسمع ضربات سياط وحمحمة حصان يتألم ثــم قرقعــة عربة تندفع بعنف بالغ حتى يتلاشى صوتها)

حتشبسوت : **(وهى تمشى مفكرة ويداها خلف ظهرها)** سيهرب طبعا

ألسنا جميعا نقاتل حتى نضيف إلى عمرنا ساعة زائدة ؟

ألسنا ــ برغم الديانات ــ نشعر أن طقوس المعابد

لا تقهر الموت فينا ، وأن الحنوط بلا فائدة ؟

وأن المقابر ليست سياجا منيعا

أمام العدو الذي تتسلل خطواته في الجسد ؟!

ولكننا لا نبوح بما تهمس الأفئدة

نبوح فحسب بما علمتنا الكهانة أو

دربتنا عليه الجماعة أو

أمرتنا به سلطة الميتين الأوائل

فيا لضياع الذي أسلم الوجه للغة الواحدة

(أتى تحوتمس من داخل القصر في خطوات نشطة وبيده سلة يفرغ ما فيها أمام حتشبسوت)

تحوتمس : ذيول السباع التي اصطدتها أمس يا عمتي

حتشبسوت : (**بتهكم**) لأصنع منها حساءك يا بن أخي

لعلى أنا اليوم طباخة القصر ،

بينا جلالتك القائد المنتصر

تحوتمس : اسخري كيف شئت

ولكن سيفي الذي قتل الأُسُودَ أمس القريب

منذ عامين .. ضم إلى مصر غزة

وغدا .. سيضم فلسطين للعرش ،

ثم يخوض ببحر الشآم

وبعد غد .. سوف يقطع كل الذيول ببابل

ويهدّم أسوار آشور كالصاعقة

حتشبسوت : (**بهدوء**) والسبب ؟

تحوتمس : (**مندهشا**) لست أفهم هذا السؤال

حتشبسوت : سؤالي بسيط ولا بد أن لديك إجابة

تحوتمس : (**زاعقا**) مجد مصر

حتشبسوت : حققته التجارة والبعثات

تحوتمس : فماذا عن الأمن ؟

حتشبسوت : أمنك أن يستتب السلام

تحوتمس : تقولين هذا لأنك لا تفهمين طباع البشر

حتشبسوت : (بصبر) فكيف حكمت لعشرين عاما ؟!

(لحظة صمت . تقطعها هي بلهجة مغايرة)

تعرف أنى بنيت سياسة مصر على السلم منذ أتيت
فإن مت غير وبدل كما تشتهى
على أي حال فلست أظنك جئت لهذا الغرض
ولكن لتطلب إذن الحماة لأجل زواج جديد

تحوتمس : (**ارتمى على المقعد الرخامي مرتبكا**) من أبلغك ؟

حتشبسوت : وجهك المحتقن
والعروق النوافر في عضلات الذراعين والعنق المشرئب
(**وبحزن**) حين ماتت فتاتى نفر الجميلة
لم تتم الحداد لأكثر من بعض عام قصير
وطلبت زواج أختها
غير أن ميريت رع تشكو الهزال
فليست تلبى رغائبك المرهقة
(**تقترب منه بوجهها**) تزوج — إذا شئت — "سات" البدينة
و أطفئ لهيبك في نهر أثدائها
بديل دماء الجنود بنهر الفرات
(**وتبتعد عنه قائلة**) ألديك مشاكل أخرى يا وارث عرشي ؟

تحوتمس : (**وهو ينهض**) "سننموت" برئ

حتشبسوت : (**باستياء**) اذهب عنى فلقد صرت مملا

تحوتمس : عندك " بســى " مسئول الشرطة

حتشبسوت : ما الأمر ؟! تكلم

تحوتمس : تقدم عاتى ببلاغ آخر

حتشبسوت: (**تقترب منه بسرعة**) ماذا فيه ؟!

تحوتمس : قام العمال صباح الأمس بمحو اسم المرأة

حتشبسوت : (**مكملة**) سعت ؟!

تحوتمس : وصباح اليوم...

حتشبسوت : (**هاتفة**) ماذا ؟

تحوتمس : وجدوا نفس الأحرف فوق الحائط

حتشبسوت : في نفس الموضع ؟!

تحوتمس : (**بشماتة خفية**) بجانب صورتك المرسومة

حتشبسوت : هذا يعنى أن الفاعل ليس سننموت !

تحوتمس : لا شك . فلقد كان الرجل يجالس بسى
للتحقيق طوال الليل

حتشبسوت: (**مشدوهة**) وأنا مارست عليه ضغوطا هائلة كي ...
(**وهاتفة**) فلندركه سريعا في منزله أو فالعاقبة وخيمة

[يدخل بسى مدير الأمن في حالة اضطراب]

تحوتمس : ماذا عندك يا بسى ؟

بسى : عندي نبأ ليس سعيدا

حتشبسوت : سننموت ؟!

بسى : سقط بعربته منذ قليل من أعلى الجرف

حتشبسوت : (**تهبط على المقعد دفعة واحدة**) قتلتُ صديقي
(وتحوتمس و بسى يتهامسان هنيهة)

تحوتمس : هيا نخرجه .. ونؤد الواجب نحوه **(ويخرجان)**

حتشبسوت : ماذا فعلتْ حتشبسوتُ بهذا البار ؟!
بل ماذا فعلت تلك الأخرى ؟!
تلك المختفية في ظلماتي ؟!
(وتنهض متثاقلة في إعياء)
أشعر وكأن لهيباً يسرى من ساقيَّ إلى عينيّ
فيذيب وقار الملكة
وكأن العابثة الأخرى تهمس في أذنيِ ضاحكةً :
ذلك ما كنت تريدين
أن ينتحر لأجلك ذكر عاشق
أنت قمعت الأنثى فيك طويلاً
فانفجرت في بضعة أيام كالبركان
(صائحة بلهجة أخرى) صمتاً يا هذى
ودعيني أسأل ظلمات العقل سؤالاً
غير جدير بجلال المأساة
من ذا يا حتشبسوت كتب على حائطك الأحرف هذى ؟!
ودعيني أضرب في ظلماتي بسؤالٍ أكثر إدهاشاً
من ساعد هذا الكاتب أن يتسلل عبر النفق السريّ ؟!
(وتخرج واجمة)

ستار

الفصل الثاني

المشهد الأول

الوقت : ما بعد أصيل اليوم التالي والشمس تميل إلى الغرب

المنظر : منطقة الدير البحري.

يرى من بعيد جهة أعلى اليسار موكب جنازة المهندس سننموت ، تتقدمه حتشبسوت وتحوتمس يتبعهما كبار رجال الدولة .

وفي الجهة اليمنى يقف عاتى أمام مسكنه يحدق وهو يقضم بأظافره في قلق ، بعد قليل يأتي سرسور من داخل الكوخ ليراقب المشهد قائلاً :

سرسور : ما أكرمكم يا مصريون

لا تملك نفس إلا أن تتأسى بعقائدكم

صار الموت على أيديكم مُنْطَلَقاً لحياة أبدية !

(**وبدهشة**) ما هذا ؟! ماذا تفعل حتشبسوت ؟!

عاتى : تطلق بضع حمامات نحو جهات الأرض الأربع تكريماً للراحل

سرسور : (**بانفعال**) ما أكرمكم يا مصريون ...

عاتى : (**مقاطعاً**) دعنا من تقديرك لعقائدنا الآن وقل لي ماذا أفعل ؟

سرسور : (**مهوناً**) سأكررها .. لا تفعل شيئاً
وتصرف مثل الكل بشكل عادىّ

عاتى : كيف .. وتلك الضربات بقلبي يسمعها السائر
عند المعبد

سرسور : صدقني .. ليس مفيداً أن تتخلف عن زملائك

عاتى : خرجت فضلاتي من تحتي كيف تعود ؟
(**ومستاء**) ها أنا ذا أستخدم تعبيراتك رغم بذاءتها

سرسور : قل لي في كلمات واضحةٍ ...
ماذا يمنع أن تلحق بالزملاء ؟

عاتى : أرسلت إليهم أني أشكو من مرض قاس
كيف إذن أتراجع وأصاحبهم ؟
اذهب أنت ودعني وحدي يا سرسور

سرسور : فلنتظاهر بالإرهاق وجرر قدميك وحشرج أنفاسك
ابلع مسحوق الكركم واجعل حبات النيلة في شدقيك
وسل بلعابك فوق الذقن
فيقال مريض لكن جاء يؤدي الواجب
اسمع نصحي فالغائب مرتاب فيه ولو كان بريئاً

عاتى : آه لو كنتَ رأيتَ الشك الغامر في عينيّ بسى
(**وصائحاً**) فسدت خطتنا المشئومة يا صاح
بل وانقلب الموقف درجات مائةٍ وثمانين

سرسور : (**شاعراً بالحرج**) من كان يظن مجرد ظن

أن المجرم هذا سوف يعود ؟!

عاتى : (**بعصبية**) كيف سأكشف عنه الآن ؟!
إلا أن أكشف عن نفسي أيضاً

سرسور : (**يضرب بكفيه**) كيف تسلل ذاك الوغد جديداً ؟!
أتراه اتفق مع الحراس ؟!

عاتى : حراس المعبد آلات منضبطة
مع ذلك ضُربوا في التحقيق صباح اليوم إلى حد الإغماء
لو كان لأحد منهم معلومات حتى عن أبويه
لرماها ضمن الصرخات لجلاديه بلا شك
(**تسمع همهمات من بعيد**) اذهب يا سرسور
وشارك في طقس الدفن
وأنا سأحاول أن أغفو بالداخل لحظات كي لا أنهار
(ويدخل إلى مسكنه حيث يمشي سرسور في اتجـــاه الموكـــب بينما يتعالى صوت الكاهن بالدعاء وراءه الجميع يردد)

الكاهن : ها أنذا قد جئت أخيراً يا ...

الجميع : آمون

الكاهن : أعرفُ اسمك يا ...

الجميع : آمون

الكاهن : فلتقبلني يا ...

الجميع : آمون

الكاهن : لم أفعل شراً يا ...

الجميع : آمون

الكاهن : أو معصيةً يا ...

الجميع : آمون

الكاهن : لم أقتل أحداً يا ...

الجميع : آمون

الكاهن : لم أتآمر ضد مليكي يا ...

الجميع : آمون

الكاهن : فاجعل روحي تحيا دوماً يا ...

الجميع : آمون .. آمون ..

(أثناء أداء هذا يرى بسى مديـــر الشـــرطة ومعـــه الضـــابط حتب قادمين من جهة اليمين)

بسى : قف في هذا الموضع يا حتب

حتب : أمرك يا ريس

(فيكمل بسى سيره حتى يبلغ مسكن عاتى حيث ينـــادي عليـــه بصوت عال)

بسى : عاتى .. اخرج يا عاتى فأنا بسى

عاتى : **(خارجاً محاولاً إخفاء اضطرابه)** أهلا بمدير الأمن صديقي

بسى : قيل لنا أنك تشكو من مرض معد

عاتى : أخشى هذا فأنا أتقيأ مذ قمت من النوم

بسى : **(بلؤم)** مع أنك لم تدخل بعد التجربة الخاصة

عاتى : **(مرتجفاً)** ماذا تعني بكلامك هذا يا بسى

بسى : كنت أفكر في تعديل الإجراءات الحالية
كي نضمن ألا يخدعنا المشبوهون
(**وبلؤم**) وخصوصاً أبناء المعتوهات المنتشرات هنا وهناك
وتصورت كأنك تحمل مثلي بعض الأفكار المبتكرة
ما رأيك في أن نتمشى ونناقش هذا الموضوع !

عاتى : (**يتعمد أن يسعل**) قد تنتقل إليك العدوى لو صاحبتك

بسى : كم أنت كريم الأخلاق !
حسناً .. ابق كما أنت ودعني أطرح ما عندي
لكن ناولني قبلاً جرعة ماء
(**فيسـرع عاتى إلى الداخل عائداً بدورق وكوب فيشـرب بسى ثم يتجشأ**)
ماذا كنت أقول ؟ آه ..
إجراءات التحقيق التقليدية ...
في ظني ليست تكفي ..
ماذا تعني " الفَلَكَةْ " للمتهم الفاجر ؟!
لا أكثر من ضربات عصي فوق الأقدام
يتحملها المجرم فيما يتحمل من أوزار شتى
بل أحياناً يتحمل متهموك الجلد ولا يعطونك حتى كلمة
لكني أتصور أنك حين تقاد بغير ثياب للعجلة ...

عاتى : (**مرتعداً**) يا بسى ...

بسى : (**مقاطعاً**) تسألني ما هي تلك العجلة

(وبسرور) هي دائرة حديد بثقوب ومسامير
أعدت كي يرتاح عليها شرجُ المشبوه
وبها أيضاً كلابات تنزع لحم الصدر ولحم الفخذين
ويسيل عليها من أعلى كبريت مصهور وزيوت مغلية ..
بعض الأعوان اقترحوا تقطير الشمع السائل والراتنج
على فتحات الأنف...
لكني قلت لهم : لا
عاتى ــ وأنا أعرفه ــ قد يرضى ببراز الكلب الأجرب
لكن لا يتحمل رائحة الراتنج !

عاتى : (**صارخاً**) أرجوك .. **توقف**

بسى : (**مستمراً**) قلت لهم ولماذا نستبق الأحداث ؟!
عاتى ــ وأنا أعرفه ــ ليس غبياً
ولهذا لن ينزلق بقدميه على أرض التجربة الخاصة
وكفاه قرار جلالتها
وهو قرار أرجو أن يتحمله في صبر الحكماء

عاتى : (**مرتعداً**) أي قرار تقصُدُه ؟!

بسى : (**ببساطة**) الطرد من الخدمة

عاتى : (**مترنحاً**) أطردت أنا ؟!

بسى : طبعاً .. وكذلك جُردت تماماً من أملاكك وأراضيك
(فيهوي عاتى على الأرض دون كلمة ، أما بسى فيرفعه مـــن تحت إبطيه)

بسى : طبعاً طبعاً .. من يحجب معلومات عن أمن الدولة
لابد يُعاقب بالحرمان من النعم الملَكيَّة
(ويجلسه على درجات سلم المسكن)
فإذا بقيَ على موقفه المخزيّ أدخلناه التجربة الخاصة
لكني قلت لمرؤوسيَّ .. أراهنكم أن الرجل ذكيّ
وسيتعاون معنا بسماحة نفس
فكفاه معاناة الفقر القادم يا حضرات

عاتى : **(ينهض بصعوبة قائلاً بضعضعة)** ماذا تطلب مني بالتحديد ؟

بسى : أن نتحدث

عاتى : **(بمحاولة للتماسك)** إني لا أتحدث إلا في حضرة حتشبسوت
(فيهجم عليه بسى يخنقه بعنف وهو يزأر)

بسى : من حتشبسوت ؟! هه ؟! من حتشبسوت ؟!
أختك أم أمك ؟! هه

عاتى : **(مختنقاً)** سأموت .. ارحمني

بسى : **(يتركه ولكن يركله فجأة)** يا بن المجنونة
(وبأعلى صوته) تذكر مولاة الكل بغير الألقاب الرسمية ؟!

عاتى : **(منكسراً تماماً)** اغفر لي يا مولاي

بسى : **(يهدأ قائلاً في تبسط)** صح .. تتأدب وأنا أغفر
تلك هي الصفقات المعقولة
هيا .. ولنبدأ ثانيةً .. عمن تتحدث ؟

عاتى : **(مسرعاً)** عن .. مولاتي العظمى فرعونة مصر

حفظ إلهي آمونُ جلالتها

بسى : (**مرتاحاً**) الـ ...عظمى .. مولاتك ..

قل هذا .. وأنا أسمع لك وأرد عليك

(**ومتحولاً إلى الرقة**) تريد محادثة الملكة ؟ يا ليت !

لكن جلالتها لا تملك وقتاً يكفي الناس جميعاً

(**وبإشفاق**) فشواغلها العليا ــ تدرك هذا بالطبع ــ كثار

(**وواضعاً يده على كتف عاتى**) افهمني يا سيد

هل تتصور أني عُينت بهذا المنصب نافلة في جسم الدولة ؟!

عاتى : (**مجهشاً بالبكاء**) لا يمكن أن أتصور هذا

بسى : (**صائحاً يغضب**) فلماذا تبغي أن تعبر فوقي ؟!

أتراني جسراً ؟! هه ؟!

بل أنت بنظري مزبلةٌ أخرأُ فيها وقت أشاء

(**ويربت على كتفه**) لا تغضب مني لو بادرتك بكلام جارح

يعرف أسلوبي كل الكبراء بهذي الدولة .. أنظرْ

ها هم أولاء يجيئون وقد فرغوا من إجراءات الدفن

وستنطفئ الشمس خلال دقائق

ولهذا أقترح عليك استكمال الموضوع بمكتبيَ الخاص

أعني بإدارة أمن الدولة

ضع يدك بإبطي ولنمش كأنّا نتنزه كصديقين

لا تلفت أنظار الناس إلى موقفك البائس

عاتى : (**بمذلة تامة**) شكراً لسعادتكم
لكني أستأذنكم أن أحضر بعض الأدوية معي .. ممكن ؟

بسى : (**بتهكم**) ما دمت تصر علىَ أنك صاحب داء
هيا ادخل .. لكن لا تتأخر
(**ومشيراً إلى الضابط حتب الذي يحضر إليه مسرعاً**)

حتب : أمرك يا ريس

بسى : عاتى دخل ليحضر بعض الأدوية فلا تغفل عنه
واسحبه إلى مكتبنا بمجرد أن يخرج

حتب : أمرك يا ريس .. لكن .. أين ستذهب أنت ؟

بسى : إني مدعو للقاء تحوتمس
يبدو أن مؤامرة واسعة تستهدف قلب نظام الحكم

حتب : معقول هذا ؟!

بسى : (**صائحاً**) ما المعقول إذن ؟!
أن يتسلل شخص للمعبد أكثر من مرة ؟!
أن يكتب هذا الشخص حروفاً يفهم منها أن الملكة ...
ليست حتشبسوت ؟!
(**وبصوت خفيض**) نحن سنفقد يا حُتَبُ مناصبنا
ما لم نأت إليها بالجاني في أسرع وقت

حتب : شندى أبلغ عن أحد العمال الفارين
فبعثت إلى قريته كوكبة من شرطتنا
وعسى ضَرْبَ الكل صباحاً ومساء

يجعل أحداً منهم يرشدنا لمكان الهارب

بسى : تلك سياستك الخاصة بالجمهور فلا أتدخل فيها

لكنْ .. عشرات فروا من قسوة عاتى

هل نعدو في كل مكان نبحث في سيرتهم ؟!

وهل يفعل هذا الشيء الهائل أحد العمال التفهاء ؟!

طبعاً لم يفعلها إلا أحد أكابرنا

رجل يعرف أسرار المعبد

رجل يملك أن يدخله وقت يشاء

رجل يقصد أن تفقد حتشبسوت توازنها

فتوافق أن تتزوجه

وهي شروط تنطبق على عاتى بالذات

أو لم يخدعنا بتقوله كذباً ضد سننموت الراحل ؟!

(**وبلهجة آمرة**) هيا ادخل يا حتب وجرجره من قدميه

[يدخل حتب ويبدأ بسى في السير ليلحق بالموكب المنصرف من أعلى اليسار إلى أعلى اليمين وفجأة يعود حتب صارخاً]

حتب : أدركني يا ريس

بسى : (**عائداً مسرعاً**) ماذا يا حتب ؟

حتب : عاتى قطع شرايين يديه

ودمه يملأ أرض المسكن

بسى : (**مندفعاً للداخل هاتفاً**) لست أصدق

حتب : (وراءه) ستراه بنفسك

[خرج الموكب الآن والمكان صار خالياً تماماً ، واختفى قــرص الشمس]

إظلام

المشهد الثاني

الوقت : عصر اليوم التالي

المنظر : ساحة قرية الفقراء

بسى : ما هذا الحشد الهائل يا حتب ؟

حتب : فلاحون وعمال .. أتوا لحضور جنازة عاتى

بسى : (**ينفخ بقوة**) لماذا انتحر الأحمق ما دام بريئاً ؟!

طبعاً كان بريئاً يا حتب

وإلا كيف وجدنا النقش على الحائط صبح اليوم ؟!

حتب : إني ما زلت أشك بهذا الهارب فاروس

بسى : أنت تضيع وقتك فيما لا يجدي

حتب : فاترك لي بضعة ساعات يا ريس .. أرجوك

بسى : ماذا في رأسك ؟

حتب : محتمل أن الهارب فاروس

سيأتي ليشارك في طقس الدفن

فإذا كان ـــ كما أتصوره ـــ خلف الأحداث

فضروري أن ينجذب إلى من كان ضحيته بالأمس

ولهذا .. أحضرت ملاحظه شندى ليدل عليه إذا جاء

بسى : لا أمنحك سوى بضعة ساعات .. لكن

بعد الدفن ستسحب أفرادك وتعود

(**وهامساً**) ثمة تغييرات قادمة من أعلى

وأنا أحتاج إليك هناك

حتب : (**هامساً**) تعني أن تحوتمس لن يتراجع هذى المرة ؟!

بسى : ذلك مرتهن بموافقة الجيش

وأظن القائد مجدو يقترب كثيراً منا حالياً

ولهذا جئت إليك بنفسي

كي نتدارس موقفنا نحن الاثنين

فلا تسمعنا آذان تعمل حقاً لحساب الملكة

حتب : وأنا رهن إشارتكم يا ريس

بسى : فلنتظاهر أنَّا نتمشى خلف التل

كما لو كنا ننتظر الجثمان

(بعد خروجهما يدخل زواوى وشبانة من ممر القرية)

زواوى : ضربوك كثيراً يا عم شبانة ؟!

شبانة : بل راعوا سني ، والحق يقال ، فسبّوا آبائي

وبصقوا في وجهي ، وسلخوا ثوبي عن بدني

أما الفتيان فضُربوا حتى قالوا : إنَّا نسوة

زواوى : مع ذلك لم يكشف أحد عن مخبأ صاحبنا

شبانة : أسمعت طوال حياتك عن فلاح

بلَّ لشرطيّ ظمأ ؟!

(ويضحكان بسرور ويتصافحان ويقبل كل منهما الآخر)

شبانة : قل لي ، هل ذاق طعاماً مما أنت حملت ؟

زواوى : بضع لقيمات ثم توقف
حين نقلتُ إليه ما تفعله الشرطة

شبانة : أخشى أن يتهور ويفكر في التسليم

زواوى : لا .. فأنا أكدتُ عليه بأن التسليم الآن ..
سيحطم أرواحاً بدأت تتعلم كيف تقاوم

[يبدأ أناس في التدفق على القرية ، وبعضهم يصعد مباشرة إلى تل المدافن]

زواوى : كيف أصدق أن يُدفن عاتى في مقبرة الفقراء ؟!

شبانة : أو لم يخبرك الزملاء بتفصيلات الموضوع ؟!

زواوى : لا .. بل عنوان الموضوع فحسب

شبانة : فاسمع مني وتأمل كيف تدور الأنجم بالفُلّكِ الدوار
رجل صوماليّ جاء إلينا فجر اليوم ودمع في عينيه
نقل إلينا آخر ما نطق به عاتى في
لحظات النزع

زواوى : وماذا نطق به المتغطرس ؟

شبانة : قال لصاحبه الصوماليّ ــ بنص كلام الشاهد ــ
" استأذنْ أمي أن تقبل جثماني
تدفنه حيث تريد وترغب "
أما فاو الثكلى فلقد ردت هادئةً
" يُدفن ابني بجواري بين الفقراء "

زواوى : يعني اعترفت فاو أخيراً ببنوة هذا العاق ؟!

شبانة : يُنهي الموت خلافات الأعداء نهائياً
أفلا ينهي خُلْفَ الأم و فلذتها ؟!

زواوى : أنت محق
وأنا أخطئْ إن لم أصعدْ لأعزيها

شبانة : خذني معك لعلي أقنعها أن تشرب جرعة ماء

[ويصعدان التل الأيسر.حينئذ يرى فاروس هابطاً من تل القبور حتى إذا بلغ جذع الشجرة وقف محزوناً]

فاروس : سلاماً يا ورود الموت في جذع الثرى الظمآن
هنا راودتِ أحلامي
وقلتِ ستبعث الأموات يا فاروس مثل حبيبنا أوزير
فما زدتُ عن الإضرار بالرهطِ
جلبتُ إليهمو سيلاً من التعذيب خلف عواصف الشرطة
يكاد يصم آذاني صدى صرخاتهم بالأمس
أكاد أراك يا فاو العليلة بعدما قمتِ
وقد أصبحت ـــ في ظل الإهانة ـــ ملتقى الأوجاع
وحط الثكلُ فوق الهيكل العظميّ أثقالاً وأثقالا
وأنت هناك يا فاروس مختبئ وراء الصخر
يغطيك المحامون العراةُ
وما عادت عروسك سعتُ من جبانة الموتى
فحتّام العنادُ إذن ؟!

لماذا لا تكف لكي تكف الشرطة الرهجاء عن
أحبابك الأبرار
أجل .. جئت لأُسَلِّم معصميَّ الآن للقيدِ
(ومنادياً) أنا فاروس يا من تطلبون الفاعل الأصليّ

[لكن صوته يضيع في ضجة الرجال وعويل النساء حيث يدخل في نفس اللحظة أربعة عمال يحملون جثمان عاتى يتقدمهم سرسور باكياً. وما أن يلمح شبان القرية فاروس حتى يحيطوه بأجسامهم بينما يعود زواوى مسرعاً ــ ووراءه شبانة ــ وفي الزحام يُخْرِج زواوى سكيناً من جيبه يلمس بها ظهر فاروس خفية ، و سرسور يراقب ذلك]

سرسور : (لنفسه مندهشاً) ماذا يجري بالضبط ؟!
ولماذا يُشرع هذا الرجلُ السكينَ بظهر أخيه ؟!

[ويتحرك ببطيء مقترباً من الرجلين ، في نفس اللحظة يسرى بسى عائداً ووراءه حتب يمسك بذراع الملاحظ شندى]

حتب : انتظروا . لا يتحرك أحد حتى أعطيه الأذن
سيكون لديكم متسع للدفن وللدمع
وللطم الأوجه حسب العادة
لكن .. حق الدولة ليس نفرط فيه
موتوا أنتم لكن الدولة قائمة أبدية

مع أن الوقت لديها محدود بحدود المنفعة العامة
هيا يا شندى .. أخرِجْ فاروسَ المجرمَ من بين الجمع
خذ وقتك .. لا تتعجل
فأنا أتصور أن ابن اللبؤة هذا
يتنكر حتى في زي امرأة أو في هيئة طفل

[شندى يتقدم مستعرضاً الواقفين فرداً فرداً وأخيراً يعــود إلــى حتب قائلاً]

شندى : ليس هنا من تطلبه يا مولاي

حتب : فلماذا أشعر أنك تكذب يا سافل ؟

سرسور : (**لنفسه**) طبعاً يكذب

حتب : (**للجميع بصوت عال**) عشرون جوالاً قمحاً
يأخذها فوراً من يرفع إصبعه ويشير إلى فاروس
[لا يرد أحد ، فيهتف حتب مغيظاً]
خمسون جوالاً ...
[وبصوت أعلى] مائة جوال يا أولاد الكلب
[صمت كثيف يقطعه بسى هامساً لحتب في ضيق]

بسى : مائة جوال يا بسى ؟!
من يسمعك يظنك تبحث عن ملك في الأسر

حتب : (**بتذمر**) في أعينهم يا ريس نظرات متخابثة تتحدى

بسى : (**بحسم**) اسحب أفرادك بالأمر وهيا نرحل (**ويخرج**)

حتب : (**مستسلماً**) لولا أن سيادتكم قلتم بالأمر .. لكنت ... إيه !

(**وللجميع**) سأعود إليكم يا أولاد القحبة فيما بعد
وسنعرف من منا المغلوب ومن فينا الغالب
[ويشير إلى رجاله بالانسحاب ماضياً خلف بسى أما زواوى فيعيد السكين إلى جيبه هامساً لفاروس بينما يتسمع عليهما سرسور]

زواوى : لو كنت نطقت لغاصت سكيني في ظهرك

فاروس : ليس بسبب السكين سكتُ
ولكن .. حتى لا ينتصر عليكم هذا الشرطيّ المغرور

شبانة : (**للجميع**) والآن .. إلى دفن الميت يا أخوة
[و سرسور الذي كان قد لاحظ ما حدث يقف مندهشاً يحدق في فاروس قائلاً]

سرسور : أي أناس أنتم يا مصريون ؟!
وماذا سوف أرى منكم أكثر ؟!

إظلام

المشهد الثالث

الوقت : ليلاً ــ بعد أسبوع.
المنظر : قاعة المعبد بالدير البحري

في اليمين الباب الرئيسي(مغلق) ، وعلـــى الجـــدار المواجـــه للناظرين نقش لصورة حتشبسوت في شبابها ، وبجانب النقـــش آثار كشط متعددة .
في عمق الوسط تمثال ضخم لآمون على كفه شعلة مضيئة .
ومن أقصى اليسار إلى حافة خشبة المسرح توجد أعمدة متوالية على شكل قوس .
فجأة يبدأ أبعد الأعمدة في الدوران ببـــطء ، فتـــهتز الشـــعلة ، ورويداً تنفتح ثغرة في الجدار الملاصق للعامود يدخـــل منـــها فاروس . ومع دخول الهواء خلفه تنطفئ الشعلة .

فاروس : لماذا كلما جئت لبيت الرب أَلْقَىْ ظلمةً فيه ؟!
أليس يجوز أن الرب مستاءٌ ،
لما آتيه من أفعال ؟!

(وبلهجة المحتج) علام إذن ؟!

وأين السوء في إحياء من خمّت به الأقدار ؟!

فهل مطلوبُ آمونَ هو العكسُ ؟!

إذن مطلوبنا أن يُعكس العكسُ

فإن كانت شروط رضاه أن تُمحي كرامتّنا بأيدينا

وأن نتقبل المقسوم ديجوراً و لا قَبْسُ

وأن نرضى بتفريق المحبينا

وأن نعتاد أمراضاً تواتينا وفي آثارها اليأسُ

وأن نعتاد آلاماً وأحزاناً بلا سببٍ

وأحكاماً بإعدام المصابينا

فلن أرضى بشرط واحد منها أيا آمون فلتسمع :

سأجعل من حوائط بيتك الصماء

سجلات لشعب بيته الرمسُ

عسى ــ إن يدرك المغزى ــ يثب

من عالم الأموات في غدهِ

إلى كون جديدٍ ،

بعثه عرسُ

(ومقترباً من الجدار متحسساً إياه مردداً)

كأن أصابعي صارت عيوناً تبصر الأشياء

فهذا الكشط محمومٌ

وهذا الكشط مغتاظٌ

وذاك المحو محتقر يسائل سعت من أنتِ
(**وبلهجة المجيب**) حصاة في زقاق البؤس والنسيان
فيركلها سَرِيٌ عابرٌ يدنو
(**وبصوت لاهث**) ولكني .. أقول لهم هنا نحنُ
رضيتم أو أبيتم يا ذوي الألقاب ها نحنُ
فموتانا وموتاكم سواء حين نَفْتَنُ
(ويحفر كالمحموم هاتفاً)
وها هي ذي علامتنا على الجدران
فكونوا مثلنا بالعدل أو ...
فافنوا

**[يسمع صوت انقداح من خلف تمثال آمون وتظهر يد تضــــيء الشعلة القائمة على كفه الحجرية
فيظهر اسم سعت متألقاً واضحاً بجوار صورة الملكة .
بعدها تخرج الملكة حتشبسوت من خلف التمثال شاهرة سكيناً .
لكنها ما أن تحدق في وجه الفتى حتى تهتف بذهول]**

حتشبسوت : أنت ؟!
فاروس : (**ببساطة**) وقفت طويلاً بالخارج منتظراً إياك
وحين تخلفتِ دخلتُ أنا وحدي

حتشبسوت : **(بدهشة أشد) هل تعرفني ؟!**

فاروس : أتعودين إلى هذرك يا أنت ؟

وما هذا السكين اللامع في يدك الليلة ؟

وماذا تعنين بـــ " هل تعرفني " ؟!

(فتحدق فيه برهة باندهاش ثم تعيد السكين للغمد)

حتشبسوت : لا داعي لاستخدام السكين فأنت وديع فيما يبدو

لكن حاول أن تشرح لي كيف دخلت

فاروس : عدنا للهذر السمج إذن

أو لست بنفسك من أرشدني لطريق النفق السري ؟!

حتشبسوت : أنا ؟!

فاروس : وقدت خطاي لأكثر من أسبوع .. هل تنسين ؟!

حتشبسوت : أنا ؟!

فاروس : **(محدقاً فيها)** شيء في وجهك لا يشبه وجهك

حتشبسوت : ماذا ؟

فاروس : **(بخوف)** كيف تغيرت خلال الساعات الماضية بهذا الشكل ؟!

حتشبسوت : قولك فيه استفزاز لدواخل نفسي

فتعال نرتب ما في رأسينا من فوضى

(وتعد العبارات التالية على أصابعها)

ثمة سيدة تعرفها تشبهني

قادت خطواتك لطريق النفق السريّ

لأكثر من أسبوع

ثم تخلت عنك الليلة بالذات

يعني حين حضرت أنا

من كانت تلك المرأة بالضبط ؟

هل تدعى سعت ؟

فاروس : لا .. سعت امرأتي

حتشبسوت : ولماذا تنقش يا هذا اسم امرأتك

في معبديَ الخاص ؟!

فاروس : (**مرتعداً**) معبدك الخاص ؟! أنت إذن ...

حتشبسوت : إني حتشبسوت وإلا من تحسبني ؟!

فاروس : (**مترنحاً**) لكنك بعد الدفن أتيت وقلت ...

حتشبسوت : (**مقاطعة**) قف وأجبني .. ماذا تقصد بالدفن ؟

فاروس : دفن امرأتي

حتشبسوت : (**بدهشة مفاجئة**) وهل ماتت سعت ؟!

فاروس : (**مستمراً**) وجلالتك زعمت بأنك أنت قرينتها

حتشبسوت : (**هاتفة**) الكا ؟!

فاروس : وأشرت عليَّ بنقش اسم الراحلة هنا

كي تبعث حية

حتشبسوت : إني لا أذكر هذا

فاروس : طبعاً فلقد كنتِ...

أعني أن الأخرى كانت أصغر بكثير

حتشبسوت : (**مغمغمة**) تقريباً في العشرين ؟!

(**وبدهشة**) ولعلي ـــ قلها ـــ راودتك عن نفسك
قل هذا أيضاً كي أفقد عقلي

فاروس : ذلك ما حدث ولكن ...

حتشبسوت : (**مقاطعة مكملة**) ولكن أنت استعصمت !
(**وتتأمله عابسة**) أنت إذن هرمس

فاروس : بل اسمي فاروس

حتشبسوت : لا تخدعني
أعرف أنك هرمس
مبعوث الآلهة القدماء الملغيين
من خلقوا البشر سواسية أول مرة
ولقد جئت إليّ بصورة إنسان لتُذَكِّرَني
إنسان يدخل حتى في أحلامي
لكنك تنسى أن التاريخ انتقل إلى أوضاع مختلفة
حاول أن تفهم لغة العصر
أربابك يا هذا لا تصلح للمجتمع المنتج
فالمجتمع المنتج يحتاج إلى الدولة ذات التقسيم الهرميّ
فماذا تقصد بأساليبك تلك الملتوية ؟!

فاروس : أساليبي ليست ملتوية
إني لا أطلب إلا ...

حتشبسوت : (**مكملة**) ... أن أعترف بأن الحاكم عينُ المحكوم
وأن المحكوم هو الحاكم

ولهذا ترمز لمرادك بالرسم على الحائط
لكني لن أسمح لاسم امرأة تافهة أن
يبقى بجواري أبداً

فاروس : (**صائحاً**) ليست سعت امرأة تافهة بل زوجة نفسي
وأنا سأقاتل حتى تحيا ثانية مثلك أو أُقتل

حتشبسوت : (**مخرجة السكين**) تُقتل طبعاً
أو يُجتز لسانك من حلقومك
افتح فمك لتظفر بحياتك
حيٌّ أخرس أفضل من بطل ميت
(تسمع أصوات خارج الباب الرئيسي تقترب فتعيد هي السـكين إلى غمدها قائلة)
ها هم أتباعي يأتون
ولسوف يقومون بهذا الواجب عني
لا تعذيباً بل من أجل إعادة تثقيفك

فاروس : صدقت فاو فأنتم ما أنتم

حتشبسوت : (**صائحة**) من فاو ؟! واحدة من رباتك ؟!

[وبدلاً من الرد عليها يهجم على الشعلة ينتزعها من كف الإلـه
ويعدو بها خارجاً من الثغرة
وقبل أن تدرك هي ما فعل يكون العامود قد انغلق وراءه وسـاد
الظلام ، فتقول هي بإعجاب]

حتشبسوت : وثبة فهد !

أتمنى لو كنت أؤديها في إحدى المرات

[ينفتح الباب الرئيسي ويدخل تحوتمس و بسى والقائد مجـــدو وأمام الثلاثة الكاهن حورحت يحمل مشعلاً يتوجه به فوراً إلـــى تمثال الإله يعلقه بالكف الحجرية]

حورحت : ولكن أين تراها شعلة معبدنا ؟!

بسى : الآن سنمسك بتلابيب الجاني

حورحت : ليس لدينا يا بسى في هذى القاعة

إلا عمة فرعون

بسى : (**لتحوتمس**) فعلاً .. لا يوجد أحد إلاها يا مولاي

حتشبسوت : عمة فرعون ؟! و ... إلاها ؟!

ثمة رائحة تزكم أنفي

من آذنكم بدخول المعبد ؟

تحوتمس : بل نسأل نحن

من كان يدير حواراً معك من لحظات ؟

حتشبسوت : (**بتهكم**) ربّ نحن نسيناه فجاء يذكّرنا

تحوتمس : (ضاحكاً باستهزاء) و كأنّا أفراد من عامة شعبك !

حتى الكاهن حورحت سيضحك من زعمك هذا

حورحت : طبعاً أضحك

تحوتمس : وكذلك مجدو قائد جيش الدولة

مجدو : (**عابساً**) إني لا أؤمن أصلاً بالأرباب

تحوتمس : طبعاً يا مجدو
لكنّا لدواعي الحكم نعد الآلهة فطائر حلوى
يعجنها حور الطباخ الماهر
وعلى نار هادئة ينضجها
ثم يقدمها في الأعياد لبسطاء الناس

حورحت : ولهذا فأنا أحتفظ بسر الصنعة

بسى : فإذا رفض البعض طعامك يا حور
فإدارتنا تطعمه من مائدة أخرى
(**ولمجدو**) طبعاً أعني العامة والغوغاء

تحوتمس : فلماذا يا بسى تخدعنا العمةُ وكأنّا بعض الغوغاء ؟!

حتشبسوت : (**بغضب**) كيف جرؤتم أن تتخذوا أسلوب السخرية معي ؟!

تحوتمس : نحن تعلمنا هذا الأسلوب طويلاً في مدرستك
لكن المدرسة انغلقت
والطلاب غدوا بالفعل أساتذةً ،
مثلك يا " أبلة " !

حتشبسوت : ما دام الأمر كذلك فلنتحدث جدياً
لماذا جئتم خلفي ؟

تحوتمس : من أجل الأيام الخالية أجبها يا بسى

بسى : (**بتفاخر**) إني لا أهتم بتاتاً بالماضي بل بالحاضر
ولقد بدأ الحاضر هذا منذ انتحر الخائب عاتى
فربضتُ أنا في مسكنه لا أتزحزح

حتى كانت ليلتنا هذى

(وموجهاً حديثه لحتشبسوت بوقاحة)

حين رأيتك آتيةً ،

قلت امرأة تتسلل لتلاقي أحد العشاق

لكنْ شكل الحراس المرتعدين أمامك

أنبأني عن شخصك

فعدوت إلى مولانا بالنبأ الصاعق

وجلالته اتخذ على الفور قراراً بحمايتنا

حتشبسوت : تخذ قراراً بحمايتكم ممن يا بسى ؟!

بسى : ممن جعلتنا سخرية الناس

(ويتوجه إلى الأعمدة يتفحصها وحتشبسوت تصيح وراءه)

حتشبسوت : كنتم سخريتي طول الوقت

فماذا لو شاركني الغير شعوري ؟

(و بسى يشير إليها بيده زاهداً في الرد)

مجدو : سخريتك منا لا تمنعني أن أسألك سؤالاً جاداً

(ومشيراً إلى الحائط) من كتب الليلة هذا الاسم ؟

تحوتمس : (بلهجة تدّعي العتاب) يا مجدو يا مجدو

العزباءُ تعاني السأم وإن كانت ملكة

ولهذا تحتاج ــ كما أتصور ــ

لمغامرة بين دهاليز الدهشة و التغيير

ولعل عشيقاً مجهولاً سماها من باب التدليل بهذا الاسم

فأرادت أن تنقشه بجوار الصورة

بسى : **(مغمغماً لنفسه من بعيد)** سرسور الصومالي ؟!

حورحت : في هذى الحالة ندعوها الملكة سعت ؟!

حتشبسوت : **(بمرح مفاجئ)** هذا لقب سوف يضاف إلى ألقابي

منذ اليوم

(وتبتعد عن تمثال آمون مرددة في سخرية)

الملكة سعت أنا

والعاشق من دوخكم بكتابات الجدران .. أنا

حورحت : **(مذهولاً)** يعني أنت الكاتب ؟!

حتشبسوت : **(في قمة السخرية)** أو ليس الرجل هو المرأة ؟!

والحاكم عين المحكوم ؟!

وأنتم أشباح ذائبة في سرداب الجهل ؟!

تحوتمس : **(صائحاً)** ها أنت إذن تعترفين على نفسك

من ثم فنحن ندينك في محكمة الدولة هذى

حتشبسوت : **(متحولة إلى الصرامة)** تلك محاكمة باطلة يا سيد

فقرار التشكيل توقعه الفرعونة حسب القانون

تحوتمس : لا .. تلك مصادرة بالمطلوب على المطلوب

حتشبسوت : أنت إذن تطلب محكمة شكلية

لكني لن أتكلم لقضاة نطقوا بالحكم

قبل سماع دفاعي

مجدو : **(بحرج)** لو تشرح سيدتي الأسباب فإني ...

حتشبسوت : (**مقاطعة**) كيف تدافع حتشبسوت عن النفس أمام أصاغر ؟!

مجدو : يا مولاتي ...

حتشبسوت : (**بانتصار**) أسمع هذا اللقب الآن لأول مرة

(**وبقوة**) ما دمت نطقت به .. ،

فأنا آمرك بأن تركع

[يبدو التردد على مجدو لكن تحوتمس يسرع جاذباً إياه بعيـــداً وهو يصيح]

تحوتمس : لن يركع هذا الضابط أبداً بعد الليلة

بل سيقاتل ويعود كما كان رشيقاً مثل الرمح

وكفانا ما نحن خسرنا بطراوة حكمك

في أسبوعين اثنين كبيران انتحرا

وبدت شرطتنا عاجزة في نظر المحكومين

وانتشرت بين الغوغاء حكاية هذا الاسم

المكتوب على الحائط

نشطبه في الصبح فيُكتب ثانيةً في الليل

قل يا بسى ماذا أبلغك العسس السريون

بسى : (**وهو يتفحص آخر الأعمدة**)

قالوا .. الناس على ثقة من أن الفاعل

أحد البسطاء

والإعجاب بهذا الفاعل يتزايد في الأوساط الشعبية

حتى صار البعض يقولون

لماذا لا تُبنى أهراماتٌ للفلاحين وللعمال

مجدو : (**غاضباً**) يا لوقاحة هذا القول !

تحوتمس : وسيأتي يوم يسأل فيه الرجل العاديّ

لماذا لا يغدو ملكاً أو ما أشبه

حورحت : حينئذ أشنق نفسي في هذا المعبد

حتشبسوت : حينئذ يرتاح العامة والخاصة من أمثالك

تحوتمس : كنا نعلم أنك ضد نظام الدولة في عمق ضميرك

ولهذا قررنا أن نعزلك الليلة

حتشبسوت : (**بهدوء**) انتم قررتم عزلي من أعوام

وبقيتم تنتظرون الفرصة

حتى جاءت فرصتكم تسعى بحكاية سعت

تحوتمس : قولي ما شئت فأنت الآن امرأة عادية

مع ذلك لن نطردك إلى الصحراء

بل نحن نوافق أن ترتاحي في قصر ابنتك

ميريت رع

لكن لن تتصلي بالناس ولن يتصل بك الناس

حتشبسوت : تحتاج لجيش كي يعزلني عن شعبي

فأنا حصّلت محبتهم بسياسات السلم الدائم

تحوتمس : بل أضعفت بلادك بسياسة هذا السلم

أو ليس كذلك يا مجدو ؟

أو لم تتحرش أقوام بحدود الوطن الشرقية ؟

أو لم يطمع فينا الغرباء ؟!

(ولحتشبسوت) في حبسك ..

لن أحتاج إلى جنديّ واحد

يكفيني إعلان عن مرض معدٍ

حتى يهرب منك الكل

فاعتبري نفسك منذ الآن جوار العرش

مجرد صفر

حتشبسوت : آه لو تدري المعنى المزدوج المتناقض في قلب الصفر

الصفر بداية إحياء الموتى

لكنك تجعله موت الأحياء

فافتح ما شئت من البلدان

واصنع أعداءك ثم اقتلهم

لن تجني إلا صفراً رقمياً

و ستدرك هذا في آخر أيام حياتك

حين تُسَجّى وحدك

في تابوت فضيّ بارد

بسى : **(صائحاً)** ها هو ذا باب النفق السريّ

[وإذ ينفتح العامود تهب ريح قوية فتطفئ الشـــعلة ويســود الظلام ، ويسمع صوت تحوتمس صائحاً]

تحوتمس : إياكم أن تهرب منكم

بسى : (**هاتفاً**) إني أحتجز الباب فلا ...

(وتنطلق منه صيحة ألم رهيبة) آه

سكين مرشوق في صدري ؟!

قتلتني حتشبسوت !

[ويسمع صوت سقوط جسم على الأرض]

تحوتمس : فليشعل أحد ضوءً وليسرع

حورحت : (**وهو يلهث**) يوجد مقداح في مبخرة التمثال

ولكني أتخبط في الظلمة

مجدو : (**متأوهاً**) من ذا يدخل إصبعه في عيني ؟!

حورحت : (**لاهثاً**) ها هي ذي مبخرة التمثال

و...ها هو ذا حجر القدح

[لحظة ثم يضاء المكان فيشهق مجدو وحورحت ثم يسرعان إلى الأعمدة]

حورحت : أَتَبَخَّرَ بسى في غمضة عين ؟!

مجدو : كان هنا في هذا الموضع بالضبط

كان يفتشه حين انطفأ المشعل

حورحت : وسمعناه يصيح .. وجدت النفق السريّ

تحوتمس : (**بهدوء غامض**) لن تجدا هذا النفق السريّ

فالأعمدة جميعاً في نفس أماكنها

مجدو : هربت حتشبسوت بلا شك من إحداها

وأعادت إغلاق الباب من الخارج

حورحت : طبعاً بعد تخلصها من بسى

مجدو : فأين إذن جثته يا حور ؟!

حورحت : (**بغباء**) محتمل أنْ حملتها وهي تفر

مجدو : (**باشمئزاز**) ولماذا تحمل جثة من قتلته بيدها يا فالح ؟!

تحوتمس : (**بهدوء غاضب**) كي تحشرها بين الباب وبين اللولب

خارج هذا العامود

إني أعرف كيف تفكر

حورحت : فماذا نفعل يا مولاي إذن ؟!

تحوتمس : لا شئ سوى أن نسترجع حتشبسوت سريعاً

أو فالحرب الأهلية قادمة بالأبواب

[ويمضي إلى الباب الرئيسي يتبعه الرجلان واجمين]

ستار



الفصل الثالث

الوقت : **أخريات الليلة نفسها**

المنظر : **الجانب الأيمن من المسرح ويمثل باب قصر ميريت رع**
يقف أمامه حارس على رأسه خوذة وبيده سيف
يتقدم منه رجل أشيب يسير على مهل

الأشيب : قف مرتاحاً فأنا مثلك في درجة جنديّ
(وبلهجة داعرة) لكنك جندي حلو
تمتاز بجسم ممشوق رائع
(ويتقدم خطوة بيد أن سيف الحارس الممتد إلى صدره يوقفـــه فيهتف متراجعاً)
طيب طيب .. سأظل مكاني لا تتهيج
(ومغمغماً وهو يمسح ريقه عن فمه)
ولو إني كنت أريد مهتاجاً من ناحية أخرى
لكن يبدو أنك لم تتعلم فلسفة الفرعونة حتشبسوت
أعني طمس الفارق بين الذكر وبين الأنثى
فلسفة رائعة تسمح بمزيد اللّذات
(ويحاول أن يتقدم ثانية إلا أن سيف الحارس يعيده محبطاً ، فيبدأ في الثرثرة على أمل)

إيه ! هذى الليلة مظلمةٌ ،

والأيام المقبلة ـــ برأيي ـــ أظلم

ودليلي ماذا ؟

أن الأسياد هنا وهنالك مضطربون

فتصور هذا المنظر كمثال :

ثلاثة أشخاص ـــ بخلافي ـــ في عربة

لماذا لم يركب كل منهم عربته الخاصة !

ماذا يشغلهم في رأيك !

لم لا تتكلم ؟!

هل تحسبني أحد العسس السريين يحاول أن يختبرك ؟!

لا .. فأنا سائق عربة مولانا ..

الفرعون تحوتمس

ولقد أبصرت بنفسك مولانا يهبط من مركبتي

مضبوط يا جنديّ ؟

(**وبشهوة**) جنديٌ يغري فرقة جيش مجتمعة !

(**وبصوت ناعم**) طيب .. كلمني .. قل شيئاً

معقول أنك منضبط حتى هذى الدرجة ؟!

هل تحسب أنك سوف تُرقى ..

لمجرد أنك تتمسك بالضبط وبالربط

لا يا صاح

فالدولة إن طال السلم بها تتفكك من داخلها

فرخاء في جانبها الأيمن
يدعو للترف الناعم واللهو الصاخب
ومعاناةٌ في جانبها الأيسر
تشعل نيران الحقد اليائس وتمهد للفوضى والتدمير
فلماذا لا نتمتع نحن على جانبها الأيمن
ثم نموت على أيسرها إذ تتقلب
هش ! ها هم أولاء السادة يأتون
فلأمض لإعداد العربة واسترضاء الخيل
ثم أعود إليك لآخذ قبلة
أتوافق ؟
[الحارس يهز رأسه صامتاً فيصيح السائق مسروراً]
الآن فهمتك يا بن القحبة
أنت تريد ولكن تخشى أن تلمحك الأعين
عندك حق
ولهذا سوف أعود إليك إذا ما ركب الأسياد
كي أطبع فوق شفاهك أحلى قبلة
وسأترك تحديد الموعد لمزاجك أنت
[ويخرج منتشياً ، أما الحارس فيخرج من جيبه قنينة يتأملها صامتاً ، بينما تقترب الأصوات القادمة ..
يرى تحوتمس و مجدو وحورحت خارجين من باب القصر يتكلمون معاً ..

فيداري الحارس القنينة رافعاً سيفه صائحاً .. ها]

حورحت : نقبنا في الأرجاء وفوق السطح
وفي السرداب بلا جدوى

تحوتمس : وأنا فتشت بنفسي غرفة ميريت رع
ليس لديها إلا جارية حبشية

مجدو : أين تراها تختبئ إذن !

تحوتمس : في أي مكان إلا قصر ابنتها
ضيعنا الوقت سدى
فطبيعي ألا تأتي لمكان تعلم أنّا سنفتشه تأكيداً
قلت أنا لكما ..
ليست حتشبسوت بمن يتردى في هذا الخطأ الفاحش
والآن أريدك يا مجدو أن تنشر قواتك
فيما بين الوادي والصحراء
أما حتبُ فسوف أعيّنه بدلاً من بسى
كي يبدأ في إلقاء القبض على أنصار السيدة المخلوعة
لكن أين الملعون فإني لست أراه
(**وللكاهن**) أما أنت فتعرف دورك يا حورحت

حورحت : أعرفه تمريناً مشهوراً يا مولانا
سأنادي بين الناس بأن الدين براء من حتشبسوت
وأن إله الدولة آمون

ليس يريد سواك على العرش

والمعترض عليك كفور عاص

ولقد هبط عليَّ الوحيُ فقلت كلاماً موزوناً

أرجو أن تسمعه يا مولاي

تحوتمس : فيما بعد فلا وقت لدينا

حورحت : (**بإلحاح**) إني أبصر سائقنا يعمل في إعداد العربة

فإلى أن يدعونا أرجو أن تسمع كلماتي

فأنا أخشى أن أنسى إيداعي

ما لم يتردد أكثر من مرة

تحوتمس : (**بضجر**) قل ما شئت و خلّصنا

حورحت : هي كلمات سوف تقال بحفل التتويج

اسمع يا مولاي .. (**وينشد**)

جاءت إليك جموعُ النـــاسِ تنتســـــبُ

وأنـــت فـــي الملــــتقى أُمٌّ لـــهم وأب

فإذا غَضـــبْتَ رأيتَ الكـــلَ في شـــللٍ

و إذا ابتسمتَ شَفَوْا بل في الفضا وثبوا

(**ويصفق لنفسه معجباً**) أسمع رأيك يا مولاي

تحوتمس : (**بجفاء**) إني لا أفهم في الأشعار

مع ذلك فالتنويه بأني والدهم مقبول

لكن حاول أن تحذف لفظ الأم

فأنا لست امرأة يا هذا

حورحت : إذن أقول .. فأنت خالُ لهم وأبُ ؟

تحوتمس : خالٌ أو عم

لكن لا تجعل لي ثديين .. أتفهم ؟

والآن أنا ماضٍ للدير البحري

أحطم بيديَّ تماثيل الجعجاعة حتشبسوت

و أُهَدّمُ كل الأنفاق السرية والعلنية

حتى لا يذكر أحدٌ من بعدُ حكاية سعت

السائق : (**منادياً**) العربة جاهزة يا مولاي

تحوتمس : هيا يا سادة

[وبينما ينصرفون يحييهم الحارس رافعاً سيفه

صائحاً : ها

بعدها يمد الحارس يده إلى زهرة قريبة يقطفها متأملاً

ثم يقطر بداخل كأسها قطرات من قنينته معيداً إياها إلى جيبه

بعد هنيهة يحضر السائق لاهثاً فيبادره الحارس بالزهرة]

السائق : ما هذا ؟! زنبقةٌ بيضاء ؟!

أنت إذن تطلب حباً عذرياً

(**وهاتفاً**) ولماذا لا

تجربة لم أعهدها من قبل

(**وبسرور**) أنت جميل حقاً ولذيذٌ

ومثيرٌ لعواطف شتى

وأنا أتقبّلُ تذكارك

سأقبّله أثناء الرحلة بدلاً من شفتيك

(**وبتحذير ودعابة**) بصفة موقوتة

مجدو : (**منادياً من الخارج**) يا سائق

أين ذهبت أيا حيوان ؟

السائق : حالاً يا مولاي

(**وللحارس هامساً**) سأعود إليك غداً

محمولاً فوق جناح الشوق

[ويخرج مسرعاً ليُسمع صوت العربة تنطلق مبتعدة بعد قليل تخرج ميريت رع من باب القصر تستند إلى ذراع الجارية الحبشية..]

ميريت : صرفوا كل الخدم وكل الحراس

ــ عدا هذا الجنديّ ــ عن القصر

الجارية : (**هامسة لها ولكن بصوت رجولي**)

وكذلك تركوا لتُمّرضكِ الجاريةُ الحبشية

ميريت : لا أعرف كيف أكافئ إخلاصك يا سرسور

لولاك لمِتُ من الحزن على أمي

هيا أكمل قولك بينا ننتظر شروق الشمس

(**وتسعل بشدة ولكنها تتماسك**)

سرسور : ليتك يا مولاتي ما بارحتِ فراشك

ميريت : في هذى الحالة ما كان لنا أن نتحدث
فأنا ــ رغم تهدم جسمي ــ أنثى
والأنثى لا تستقبل رجلاً في مخدعها
إلا استثناءً لأسباب طبية

سرسور : (**بإعجاب**) ما أصدق عفتكم يا مصريون !

ميريت : والآن تعال وطمأنْ قلبي المتعب
أين هي الآن ؟ وماذا تنوي أن تفعل
(**والحارس يتطاول بعنقه ليتسمع**)

سرسور : هي في قافلتي
تتجه إلى وادي الحمامات
فبئر أم فواخير
فسفيني قابعة عند سواحل بئر عسل
من ثَمَّ سنرحل فيها للصومال كي نبلغها بعد أسابيع قليلة

ميريت : (**وهي تشرق بالدمع**) أفراق أبديُ دون وداع يا أمي ؟!
[**فيقترب الحارس منهما قائلاً**]

الحارس : ما كان لهذا أن يحدث يا ميريت

ميريت : (**منتفضة**) أماه !

سرسور : (**مذهولاً**) مولاتي الملكة ؟!
لماذا عدت ؟! وكيف ؟! وأي مخاطرة أقبلت عليها

حتشبسوت : جئت لآخذ قطرة ماء يا سرسور

ترويني ذكراها في أيام الظمأ القادمة الجهمة

ميريت : فأين الجنديّ الحارس !

حتشبسوت : كان ضرورياً أن أتخلص منه

ميريت : (**متألمة**) بالقنينة ؟!

حتشبسوت : لا لا .. قنينة سمّي لا تخرج إلا

لتخلصني من داهية لا حل لها

مثلاً أحد الأعداء إذا استخفى في ثوب صديق

أو جبار لا يصل إليه حسامي

أو قردٌ لوطيٌّ مجنونٌ شاذ

لكنْ حارسك انتقل إلى الإغماء بحجر أُنزِلَ بقفاه

وسيشفى منه صباح الغد (**وكالمعتذرة**)

كان ضرورياً أن أقف ببابكِ بدلاً منه الليلة

ميريت : (**مذهولة**) يعني كنت أمام الأعداء مباشرةً ؟!

حتشبسوت : ورأوني حين اقتحموا القصر وحين انصرفوا

ميريت : (**مشدوهة**) ورأوكِ ؟!

حتشبسوت : بعيون تنظر لا تتمهل

سرسور : (**مغمغماً**) إني لا أفهمكم يا مصريون !

حتشبسوت : الأمر بسيط يا بن العم

هم وضعوا أنفسهم داخل رأسي

وفعلت أنا نفس الشيء

قالوا هي أذكى من أن تذهب لابنتها

فلنستبعد هذا الفرض ــ هم قالوا ذلك بالتأكيد ــ
وأنا قلت إذا ما استبعد خصمك فرضاً
فاقدم أنت عليه

سرسور : (**ضارباً كفاً بكف**) مع ذلك حضروا يا مولاتي
وكان من الممكن أن يكتشفوكِ

حتشبسوت : حضروا لكن سداً للخانة
ولهذا بحثوا عني في الأقبية وفي السرداب وتحت السطح
في كل مكان إلا في أظهر شيء تقع الأبصار عليه
أعني الباب
فوقفت أنا عند الباب أحييهم
رافعة سيفي تعظيما دخلوا أو خرجوا
[وترفع سيفها صائحة : ها ،
فتهتف ميريت بحبور وهي تقبلها]

ميريت : هذى أمي

حتشبسوت : كم كان زريّاً منظرهم يا ميريت
وخصوصا ذاك الكاهن يتملق سيده كالكلب

ميريت : (**مقهقهة**) يا ليت رأيتك في هذا الموقف
وأنا أكتم ضحكات استهزائي بصعوبة

حتشبسوت : (**بسعادة**) بل ليتك كنت معي في الدير البحري
حين وثبت خلال الظلمة مثل الفهد

أعني مثل الشاب المتهور صاحب سعت

المكتوبةِ فوق الجدران

سرسور : فاروس ؟!

حتشبسوت : (**ملتفتة إليه بقوة**) هل تعرفه ؟!

سرسور : نحن دفنا عاتي في قريته بالأمس

حتشبسوت : (**بلهفة**) وتعرف قريته أيضاً ؟!

سرسور : (**بتردد**) أعرفها .. لكن .. ما قصدك يا مولاتي ؟

حتشبسوت : سوف تقود خطاي إلى تلك القرية حالاً

سرسور : كيف .. وتلك سفيني تنتظر الإقلاع إلى الصومال ؟!

حتشبسوت : أتناديك الصومال فتسرع

وتناديني مصر فلا أسمع ؟!

ميريت : لكن يا أمي .. أنت هنا في خطر داهم

سرسور : (**مؤمّناً**) خطر يصل إلي حد القتل

حتشبسوت : قتلي في وطني إحياء لي

أما العيش لبضعة أيام ــ آمنةً في الغربة ــ

فهو الموت الأبدي بلا شك

هيا قدني يا سرسور إلى فاروس

فلدينا إشكال ينتظر الحل

إشكال أعظم من كل عروش الدنيا

ميريت : لكن يا أمي ...

حتشبسوت : (**مقاطعة في حزم**) قضي الأمر فلا إفتاء ولا شكوى

والآن وما دمنا سنعيش على نفس الأرض
فأنا لا أحتاج لحضنٍ وداعٍ محموم
فأعيدي هذا الحضن المحموم إلى صدرك
[وتجذبها لعناق خشن لا يستغرق سوى لحظة]

ميريت : ولماذا لا أذهب حيث تكونين ؟

حتشبسوت : حتَّام تظلين بلا خبرة ؟!
أنت مُرَاقَبةٌ ، ووجودك معنا يكشفنا
فدعينا نتسلل في صمت دون مشاكل
هيا وامش أمامي يا سرسور بزي الجارية الحبشية
وأنا سأتابع خطوك عن بعد
في زي الجنديّ الحارس **[ويخرجان]**

ميريت : **(وحدها)** في عينيك بريق أخّاذ لم أره من قبل
سلبوا عرشك فازددت بهاءً وجمالاً
بل وأكاد أظنك ـــ في داخل نفسك ـــ مبتهجة
لكني أشعر وكأن يداً تعصر قلبي في صدري
ماذا تعتزمين أيا حتشبسوت ؟
ماذا تعتزمين يا أمي

إظلام

المشهد الثاني

الوقت : اليوم التالي عصراً

المنظر : ساحة القرية ــ خالية إلا من عسسي يكمن في ركن عند المدخل .

بعد قليل يظهر حتب متنكراً في زي فلاح ،

وعلامات الإرهاق بادية عليه فيبادر العسسيّ

بسخط وتأنيب

حتب : تجلس مرتاحاً في الظل

وضابطك الأعلى ليس ينام

طبعاً ليس لديك جديد عن فاروس الهارب

العسسيّ : (**يهب منتبهاً**) من ؟ مولاي حتب ؟! إني ...

حتب : (**مقاطعاً**) اخرس

قلت لكم إني لن أهدأ حتى أظفر بمرادي

فماذا فعل الواحد منكم ؟! لا شيء

مع أن الشرطة يا هذا تحتاج نشاطاً ليس يكل

وإلى أشخاص جادين ومبتكرين

أرأيت ثيابي ؟! إني أتنكر في زي الفلاحين البلهاء

وليلة أمس دخلت على قدميَّ نجوعاً خمسة
أتشممُ ، وأفتشُ ، وأجالسُ ، وأحاورُ وأناور
بينا أنت هنا منتصب مثل اللوح
لا ينقصك سوى أن تضع على رأسكِ لافتةً
كُتِبَ عليها : إني مخبر

العسسيّ : يا مولاي ...

حتب : اخرس وائتِ إليَّ بجرعة ماء

[فيسرع العسسيّ بمناولته " قلة " يشرب منها حتب]

ماءُ مثلوجٌ في قلة ؟!
فأين الخبز الطازجُ ولحومُ الضأن ؟!
ولعلك لم تنس " الشوايةَ " أيضاً !

العسسيّ : يا مولاي .. القلة هذى لامرأة من أهل القرية

حتب : (**مستهولاً**) امرأةٌ من أهل القرية ؟!
يا للعطف السابغ من إحدى القرويات
على شرطيٍّ يتجسس !
وطبيعيٌّ بدلاً من أن تستجوبها
قامت صاحبة القلة باستجوابك يا خائب

العسسي : (**هاتفاً**) ارحمني يا مولاي وحاول أن تسمعني
فإني أحمل أنباءً جد خطيرة

حتب : (**بلهفة**) فاروس ظهر ؟!

العسسي : لا

حتب : امش . فعدا ذلك لا شيء خطير
العسسي : أنبائي تتعلق بالمرأة فاو
حتب : (يهرش رأسه مفكراً) فاو ؟! ماذا عنها ؟!
العسسي : ماتت ليلة أمس
حتب : في ستين داهية
العسسي : وصباح اليوم اندفنت
ورأيت بعينيَّ ...
حتب : (مقاطعاً) خرقت عيناك بنصلين
فماذا بعدُ ؟!
العسسي : عند الظهر ...
حتب : (مستحثاً) أيوة ؟!
العسسي : (بتردد وخوف) شاهدتُ أمام الكوخ ...
حتب : ماذا يا بن العرص ؟!
العسسي : شاهدتُ المرأة جالسة في هيئتها المعتادة
حتب : طبعاً .. ما دمت تبرطع كالبغل ،
وتشرب من قلتك المثلوجة
فلماذا لا تهذي وتضيّع وقت رئيسك
العسسي : أقسم أني لا أهذي
وفي إمكانك أن تصعد لتقابلها في الكوخ الآن
[ثم هاتفاً به مشيراً إلى الربوة]
ها هي ذي قد خرجت ثانيةً .. أتراها

أتراها وهي تسير ذهاباً وإياباً يا مولاي ؟!

حتب : (**يحدق مغمغماً**) تلك المشية ...
(**وخابطاً جبهته**) يا آمون
لا أعرف أحداً يمشي ويداه وراء الظهر سوى ...
(**ومذهولاً**) هل هذا معقول ؟!
(**وفجأة يصيح الآخر**) أين جوادي ؟

العسسي : مربوط خلف الصخرة في موضعه منذ الأمس

حتب : أتبعني واسرع

[ويندفع خارجاً بنشاط مفاجئ والعسسي وراءه .
من تل القبور يهبط شبانة و فاروس إلى أن يصلا
إلى جذع الشجرة الذي صار الآن مورقاً مخضراً]

شبانة : ها هي ذي .. لا تقس عليها يا فاروس الطيب
فلقد جاءت تلتمس حمايتنا بضعة أيام

[وبينما تهبط السيدة من أعلى الربوة ينسحب شبانة إلى
داخل القرية فيتقابل فاروس و حتشبسوت وجهاً لوجه]

حتشبسوت : لولاك لظلت حتشبسوت على عرش الدولة
ماذا تطلب بعد ؟

فاروس : (**عابساً**) منك ؟! لا شيء

حتشبسوت : كان بإمكاني أن أستنفر أنصاري
وأقاتل ذوداً عن عرشي لولاك

فاروس : (**ببرود**) لست أرى دخلاً لي في هذا يا سيدتي

حتشبسوت : فانظر ماذا أنت فعلت

منذ أتيت إلى ساحتنا انتحر وزيران

وقُتِلَ مدير الشرطة

وانقسمت أركان الدولة

حتى انقض عليّ تحوتمس

فاروس : لم أفعل إلا ما أنت أشرت عليّ به

ولنسأل هذا الجذع المورق بعد الجدب ؟!

حتشبسوت : (**محدقة في الجذع بدهشة**) الجذع المورق بعد الجدب ؟!

ذلك أيضاً كان بحلمي

هل كنت أنا أحلم ؟!

أم كانت تلك قرينة زوجتك المتوفاة ؟!

(**فترة صمت**) حدثني عن سعت

فاروس : (**تتغير لهجته من الحدة إلى الرقة**) سعت ؟!

إنها امرأة من غمار البشر

ثم صارت بفعل الكتابة مثل الملوك

في البداية كنت أود ابتعاث الجسد

ولكنني حين غصت بنهر الحروف الثلاثة

أصبحتُ موجة ماء وضوء

رأيت على الطمي " سعت " قرينة روحي

نعيش بما أكتبُ

وتحيا خلال الأحاديث في أمسيات الشتاء
إشارة دفء ودرباً إلى البر والمرحمة
وتصبح عند الحوامل طفلتهن التي سوف
تولد باكيةً ضاحكة
وتصبح عبر السنين جميع الصبايا
اللواتي سيلهمن عشق البهاء
وتصبح عبر الدهور جميع النساء
وتصبح خالدةً خالدة
إنها سعتٌ ــ فيما كتبت اسمها ــ واحدة
غير أن الجميع يعيشون فيها

حتشبسوت : (**وقد أُخِذَت بشدة**) هذا يعني أن الواحد ..
يمكن أن ينقسم ويستنسخ ؟!
[**وتمشي مفكرة ويداها خلف ظهرها**] طبعاً ممكن
وإلا .. أين فتاة العشرين المدعوة حتشبسوت ؟!
وأين الطفلة ذات العامين
وكانت تدعى أيضاً حتشبسوت ؟!
وأين أنا في النطفة قبل تشكلها ذكراً أو أنثى ؟!
هل كنت أنا بالذات ، خلال الرحلة ،
من أجداد الأجداد
إلى صُلب أبي .. حتشبسوت ؟!

فاروس : (**بهدوء**) أو كانت سعت مكانك

حتشبسوت : كم أحسدها تلك المحظوظة !

فاروس : **(صائحاً بألم وتعجب)** هل يُحسد أحد مات صبياً ؟!

حتشبسوت : طبعاً تُحسد سعت

فلقد تركت من يتعرض للأخطار لكي يبعثها بكتاباته

لكنْ حتشبسوتُ .. أكاد أراها الآن

وقد مُحيت صورتها ، لا اسم لها في أي مكان

حتى تصبح نسياً منسياً

فاروس : **(محدقاً فيها)** إني أعدك يا مولاتي

أن يتألق مثل النجم اسمك

حتى لو كان الثمن حياتي

حتشبسوت : **(مندهشة)** وتخاطر بحياتك من أجلي ؟!

لست أصدق .. ولماذا تفعل ؟!

فاروس : ذاك لأنك جئت إلينا

وتخذت مكانك في مجلس فاو

حتشبسوت : **(بصوت متهدج)** بلغت حتشبسوت الآن الصفر

وتلاشت فاتنة العشرين مع الزمن الهارب

وها أنذي أبصر نفسي أماً لك ولسعت

سعت شقيقةِ نفر الراحلة الملكية

سعت أميرتنا الشعبية

تعال إلى أحضاني يا ولدي

لأشم بصدرك رائحة فتاتيَّ الراحلتين

ورائحة الأهل ، ورائحة الأوطان
وليس مهماً ماذا بعدُ أُسمَّى
[يرتمي فاروس بين ذراعيها باكياً]

فاروس : مع ذلك سوف يظل اسمك حتشبسوت

حتشبسوت : أأموت وأبعث في يوم واحد ؟!

فاروس : أدركت إذن من فاروس ؟!

حتشبسوت : أنت رسول الآلهة العظماء إليَّ

فاروس : بل ابنك يا مولاتي
وسأبدأ عملي من أجلك منذ الآن
(وينفلت من بين ذراعيها عائداً إلى تل القبور
لتقف هي مشدوهة تتأمل أوراق الجذع الخضراء
يأتي زواوى من خارج القرية في اضطراب شديد)

زواوى : قوات الجيش انتشرت تضرب في كل مكان
وكثير من أنصارك يا مولاتي قتلوا
والقبض على الناس العاديين يتم بلا تمييز

حتشبسوت : (**متأوهة**) وما ذنب الناس وقد صار الأمر بأكمله لتحوتمس ؟

زواوى : ذلك ما كنت أفكر فيه
فتحوتمس يطلب رأسك بالذات بقواته
(**وبحرج**) وبديهيٌّ أن يأتوا بحثاً عنك هنا ...

حتشبسوت : (**مقاطعة**) سأغادركم للتو فلا تحمل هماً

شبانة : **(الذي كان قد عاد من القرية) لا**

قد يتخلى فلاح عن عينيه طواعيةً

لكن لا يتخلى عن طالب نجدة

هيا يا مولاتي كي ترتاحي في كوخك

[تصعد حتشبسوت واجمةً حين يدخل سرسور مرهقاً وسعيداً]

سرسور : جئت إليكم بطعام فوق حمارين

يكفيكم شهرين

زواوى : (**في غم**) ما لم نُذبح في يومين

سرسور : لا تتشاءم يا بن العم الغالي

فالشرطة رحلت عنكم يائسة مقهورة

ولجوء الفرعونة لكمو مفخرة سيسجلها الشعراء

ستمر الأزمة في بضعة أيام معدودة

بعدئذ نجلس مرتاحين نفكر في حل جذريّ

ويقيناً ستوافق حتشبسوت على أن تلحق بي في الصومال

زواوى : ولماذا لا ترحل معك من الآن ؟

[وحتشبسوت اتخذت الآن مكانها على المقعد الحجري بأعلى الربوة والشمس انحدرت للمغيب]

سرسور : ولماذا تتعجلها يا بن النيل ؟

زواوى : (**بقلق**) قد تتكشف أمام غريب يعبر فيبلغ عنا

سرسور : أتحدى أن يعرفها أحد جالسةً في هيئة فاو

[ويدفعه في اتجاه القرية بمرح]

ضع في بطنك بطيخاً صيفياً

وانت امرأتك من دُبُرٍ في قُبُلٍ تهدأ نفسك

اسأل صاحب تجربة مثلي

وستشكرني فيما بعد

[ينصرف زواوى إلى داخل القرية ، و سرسور يرفع يده محيياً حتشبسوت في جلستها بأعلى ، وأثناء ما يفعل يدخل حتب من الطريق الفرعيّ الآخر فيبادر سرسور ساخراً]

حتب : منجذب أنت إلى هذى القرية يا سرسور !

سرسور : (**مستغرباً**) الضابط حتب البارز في ملبس فلاح ؟!

حتب : (**بتهكم**) تدبير أمنيٌّ يسمح للضابط أن يدخل سوق النجع

سرسور : (**خابطا جبهته بكفه**) يعني كنت هناك ..

حتب : (**مقاطعا**) ورأيتك تبتاع طعاما يكفي جيشا

سرسور : ذاك لقافلتي الراحلة اليوم إلى الصومال

حتب : فلماذا عدت به للقرية هذى ؟

سرسور : (**مرتبكا**) آ .. ذلك ... أني جئت أودع أم صديقي المرحوم

حتب : (**ساخرا بشدة**) المرحومة فاو ؟!

سرسور : (**أكثر ارتباكا**) ماذا تعني ؟

حتب : أعني من دفنت صبح اليوم

سرسور : دُفنت ؟! كيف وها هي ذي
أو لست تراها عند الكوخ تعاني آلام الثكل

حتب : تقصد هذى السيدة الجالسة بأعلى ؟
تلك المرأة سوف تعاني آلاماً من نوع آخر
بعد قليل

سرسور : (محاولاً تغيير الموضوع) أنت هنا من يومين
وهنالك تغييرات شتى في القصر الملكيّ

حتب : عندي كل الأنباء فلا تحمل همي

سرسور : يتردد بين رجال الحاشية بأنك مطلوب للفرعون
ليوليك ــ بديلاً عن بسى ــ منصبه الخالي

حتب : (ببرود) هل تبدأ رحلتك اليوم إلى بلدك ؟

سرسور : نعم

حتب : أقترح عليك التأجيل إلى الغد
فلقد تحضر تعييني في منصب سننموت

سرسور : (مندهشاً) أتصير كبيراً للوزراء ؟!

حتب : ولماذا لا ؟!
فأنا .. سأجنب مصر شرور الحرب الأهلية

سرسور : (متغابياً) لا أفهم

حتب : بل تفهم قولي يا سرسور
فأنت ضليع في تأليب الفقراء على العرش المصري
ولولا أني أحتاج إليك صديقاً في الصومال

لقبضت عليك وحاكمتك

(وبلهجة شر وحسامه في يده) والآن اتركني

فأنا سأعزي الـ ... مرحومة فاو

[ويصعد الربوة بهمة بينما الشمس انحدرت وراء الأفق . أما سرسور فيتسلل إلى داخل القرية وهو يرتعد]

حتب : ذلك وقت غروبك يا سيدتي

حتشبسوت : فيما أتذكّر أنت مساعد بسى

حتب : المرحوم ؟!

حتشبسوت : الخائن

حتب : هو مرحوم من وجهة نظر الفرعون الحاليّ

أما الفرعون المعزول فلا نهتم بتقويماته

حتشبسوت : أنت ذكيّ وطموح لكنك أعمى

ولهذا لا تسمع إلا صوت الجالس فوق العرش

أما الشعب فلا يعرفه أمثالك

حتب : بل أعرفه وأدجّنهُ طول الوقت

حتشبسوت : (هازئة) اسطاعت سعت وكاتبها ــ وهما طفلان وحيدان ــ

أن يخترقا درعك حتى سقطت دولة

مفروض أنك حاميها

فماذا لو صارا آلافا وملايين ؟!

حتب : عملي أن أخضع هذا الشعب لكم يا أصحاب السلطة

تحت شريطة ألا يتخاذل أحد منكم

أما أنت فقد أهملت الشرط

فكان طبيعياً أن أتخلى عنك

[ويقترب منها شاهراً سيفه

ومع غياب الشمس تماماً يرى رجال ونساء

القرية قادمين مجتمعين تحت الربوة ومعهم سرسور]

حتشبسوت : هل تقتلني ؟!

حتب : لابد

حتشبسوت : عندئذ ستُمّزق تمزيقاً بين أظافر هذا الجمع الملتف

[تظهر كوكبة من جنود الشرطة يتقدمهم المخبر

عند مدخل القرية]

حتب : عندئذ سيمزِقُ هذا الجمعَ جنودي الملتفون

حتشبسوت : نحن إذن نحتاج إلى صفقة

حتب : هات تفاصيلك

حتشبسوت : **(مخرجة القنينة من جيبها)** هذى القنينة ..

تعرف طبعاً ماذا فيها

كنت أجهزها لتخلصني من أحد الأعداء

فلماذا لا أستخدمها لتخلص أحبابي منكم ؟!

حتب : (**مفكراً**) ذلك حل لا بأس به

حتشبسوت : فاهبط فوراً واصرف جندك عن قريتنا

حتب : (**بتردد**) وماذا يضمن أن ...

حتشبسوت : (**بصرامة وكبر**) كلمة حتشبسوت .. أليست تكفي ؟!

إني أنظر في عينيك فأعرف أنك ستنفذ دورك

في هذى الصفقة

مع ذلك سأطالبك بأن تقسم قسم الجندية

(**وصائحة فيه**) هيا اقسم يا جندي

حتب : أقسمت بشرف الجندية أن أحترم تعهدنا

حتشبسوت : وأنا أقسمت بشرف الفرعونة أن

أحترم تعهدنا

حتب : (**منحنياً أمامها باحترام**) أسعدت مساء يا مولاتي

[ويهبط الربوة مسرعاً إلى جمع الفلاحين هاتفاً

بسرسور]

حتب : أنت صدقت

فهذى المرأة ليست إلا فاو

(**ومكملاً بهمس**) المرحومة فاو لثاني مرة

[ويخترق الصفوف إلى صفوفه إلى جنوده صائحاً بهم] انتباه

خلفاً در . أماماً سر

[وخلال الظلمة المتزايدة يرى شبح حتشبسوت

وهي تتهاوى إلى الأرض فيعدو سرسور صاعداً

إليها بأقصى سرعة ، وحين يبلغها تكون الظلمة

قد لفت المكان بأسره . وفجأة ينطلق صوت سرسور

هاتفاً بلوعة دامية]

سرسور : يا مصريون !

[فتردد الجبال المحيطة صدى صوته المرة بعد المرة]

ستار الختام



